

سامي أحمد الموصلي

الذي جنك

كتاب التنبؤ الصيني



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://twitter.com/SourAlAzbakya>

<https://www.facebook.com/books4all.net>

الآي جنك كتاب التنبؤ الصيني



الآي جنك كتاب التنبؤ الصيني

الآي جنك

كتاب التنبؤ الصيني

سامي احمد الهوطلي

دار المعتز

الطبعة الاولى

٢٠١٢م - ١٤٣٢هـ

الفهرسة

المقدمة.....	٧
الخلفية الفكرية للآي جنك في الصين.....	١٧
الأهمية الصينية للآي جنك.....	٤١
التفسير الصيني للآي جنك.....	٨١
التفسير العام وضمن الفهم الصيني.....	٤٨
الآي جنك والتفسيرات العلمية الحديثة.....	٦٠
يونج وتزامية الآي جنك.....	٧٢
الآي جنك.....	٩٤
الاستخارة والتنبؤ بين المبدأ الأخلاقي والتقنيات الفنية.....	١١٨
الآي جنك في الممارسة والواقعية.....	١٣٩
المصادر والمراجع.....	١٦٩

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://twitter.com/SourAlAzbakya>

<https://www.facebook.com/books4all.net>

حبسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حينما يأخذ أحدنا ثلاث قطع نقدية كل قطعة تتكون من وجه كتاب ووجه صورة ويلقيها في الهواء فسقطت على الأرض مشكلة ثلاث صور أو ثلاث كتابات ، أو اثنين صورة وواحد كتابة ، أو اثنين كتابة وواحد صورة ، فهي عملية عشوائية تعتمد على لا نظامية أو قانونية هذا السقوط فكيف إذا جاءك كتاب ألف قبل خمسة آلاف سنة في الصين ليقول لك ان هذا السقوط ليس عشوائيا وإنما فيه حساب دقيق مبني على نيتك وهدفك من إلقاء هذه النقود في الهواء وفيه جواب عن سؤالك حول تلك النية وذلك الهدف؟ فما الذي ستقوله في هذا الكتاب.؟ .

أليس كما قال بعض العلماء السلوكيين عن يونغ وهو يتحدث عن التزامنيه في الأي جنك ان هذا الرجل مجنون.؟، ولا شك ان يونغ لم يكن مجنونا أبدا وإنما حاول ان يفهم حقاً هذه القطع الثلاث النقدية لماذا سقطت هكذا ولم تسقط بغير الشكل الآخر الذي تحتمله السقطة؟ ويشرح لك وجهة نظره قائلا [كل ما يحدث في دقيقة معينة مرتبط بحالة الكون كله آنذاك، وعليه ولو تم استخدام أسلوب رمي قطعة نقدية بغية

تقرير أحد أمرين فليس هناك شك حول النتيجة إذ ان كيفية سقوط القطعة النقدية سوف يكون محكوما من قبل الحالة السائدة [، فهل يا ترى نستطيع ان ندلل بقوانين الفيزياء النووية والسايكوفيزياء ونظريات الاحتمالات والصدفة والبايولوجيا والهندسة الوراثية والجينية وكل مفردات علم نفس الأعماق واللا شعور والسيكلولوجيا والباراسيكولوجيا هل نستطيع ان نبرهن علميا على مصداقية الأي جنك اقدم كتاب عرفه التاريخ؟ وحيث يرجعه بعض الباحثين إلى عام ٣٣٢٢ قبل الميلاد وتنسبه التقاليد الصينية إلى الحكيم الملك فوهسي البطل الثقافي الأسطوري وأول من ابتكر المتواليات وخطوطها : ما هي قصة هذا الكتاب - العجيب الغريب القديم قدم السؤال الإنساني نفسه عن المستقبل وعن الدهشة أمام الحوادث التي تقع للإنسان والمجتمع والكون؟ لقد تمنى كونفوشيوس - وهو قد علق على الكتاب وشرح مفرداته - ان يكون لديه خمسين سنة ليعيشها ليكرسها بأجمعها للتأمل في الأي جنك :

ان التاريخ - كما يذكر أحد الباحثين - لا يذكر كتابا وضعيا بشريا غير منزل أو ملهم أو موحى به أهيا كالأي جنك كان له وما يزال حتى الآن من التأثير الكبير على المستوى الفردي والجماعي لان هذا

الكتاب شغل اهتمام كل الفئات من مثقفين وأمين وسحرة ومشعوذين ومتدينين وملحددين وفلاسفة ومتفكرين وعلماء وجهلاء سواء بسواء على مستوى العالم كله وليس الصين والبلدان المجاورة لها فقط. ويقول ان هذا الكتاب دون جدال هو أهم كتب العالم الأدبي التي ظهرت في التاريخ هذا إذا لم يكن أهمها على الإطلاق لانه يمثل أول جهد قام به العقل الإنساني لموضعة الإنسان في الكون ولموضعة الكون في الإنسان. لقد كان هذا الكتاب أداة تستخدمها الجيوش في المعارك ويستعين بها الملوك في رسم سياساتهم ويعتمد عليها الشعب في توجيه شؤونهم الخاصة ثم اقبل العلماء أنفسهم على الاستعانة برموز هذا الكتاب في أبحاثهم ودراساتهم لقد كان عماد الفكر الصيني في السياسة والفلسفة والأدب والاخلاقيات والاجتماع والقانون والطب ... الخ ولم تبدأ مدرسة فلسفية واحدة من الاستعانة به بل ان الكونفوشيوسية والتاوية وحتى ماركسية ماونسي تونغ لمجد فيها صدى الآي جنك وأحكامه وحكمه ما هو سر هذا الكتاب الذي عجز ويعجز كل العلماء عن سبر أعماقه وتفسير أحكامه علميا ومع هذا يستخدمه كل من اطلع عليه وخاصة بعد ترجماته العديدة في الغرب وطبعه بملايين النسخ؟ ما هو تأثير هذا الكتاب على يونغ وكولن

وولسن وستان كوش وكلاي ولماذا يعتقد بعضهم انه كائن حي فلا يتعامل معه إلا باحترام وخوف وخشية وكأنه ليس كتابا من ورق وحرير وإنما إنسان حي يسخر ممن يسخر منه ويجيب عن سؤال من يحترمه برزاة وروية وحكمة ما بعدها من حكمة؟ يقول كلاي مترجم الكتاب إلى الإنكليزية [من المرة الأولى التي قمت بها بذلك صعقت وشعرت بالخوف وكاني أتسلم إجابتي من إنسان يتنفس أمامي وليس من كتاب وكلما استخدمت الكتاب بعد ذلك انتابني ذلك الشعور الأول ... ولو طلب مني ان أؤكد ان الصفحات المطبوعة لا تحوي روحا أو على الأقل تتصل بروح من خلال عملية غامضة، ساجد نفسي في حيرة من أمري وغير قادر على ان أؤكد سلبا أو إيجابا].

أما الكاتب الباراسيكولوجي ستان كوش نراه يقول [ان مؤلفي هذا الكتاب باستخدامهم الحدس الذي يبدو ان لا علاقة له على الإطلاق بالعلم والموضوعية، توصلوا لمعرفة القوانين والعلاقات التي تحكم سير حياة الفرد على كوكبنا، وطبعاً يبدو ذلك مستحيلاً، ولكن الدليل يكون بالتجربة؟] وهكذا نراه يسأل الكتاب كل سنة وكل ستة اشهر وكل شهر عن ما يريد ان يعرف من أمور مستقبله ويسأل كوش

نفسه (وخامرني الشك هل ان كتاب أي جنك كائن حي؟ وهو يخلص إلى ان التركيب الداخلي للكتاب يبقى سرا غامضا بالنسبة له، أما كولين ولسن فهو يستشير الكتاب في مسائل شخصية دقيقة ويؤكد مصداقيته المخارقة وغير الطبيعية بل ان يونغ سأله عن نفسه وعن طبعته التي سيصدرها وكذلك يفعل كلاي مترجم الكتاب إلى الإنكليزية، بل ان بعض علماء النفس اليونغيين يطلب من مريضه ان يستشير كتاب الأي جنك حتى في تفسير أحلامه الغريبة. لقد تمنى يونغ بعد كونفوشيوس ان يكون له خمسين سنة من العمر لكي يكرسها للدراسة الأي جنك، فما هو السر الذي يجعل اكبر العلماء يقف حائرا أمام مثل هذا الكتاب الذي لم يطلع عليه القاريء العربي حتى الآن ولم يجده مترجما رغم انه غزا العالم اجمع؟ سنحاول في هذا الكتاب تقديم كل ما توفر لنا من معلومات حول هذا الكتاب وأسراره وأحكامه وأهميته سواء في الصين أو في العالم كله، وسنحاول ان نستخدم آخر مفردات الفيزياء والسايكو فيزياء وعلم نفس الأعماق ومفردات اللا شعور وكل ما توصل إليه العلم المعاصر من مفردات الصدفة النظامية ذات المعنى أو التزامنية الفيزيائية السيكلوجية لكي نضع القاريء أمام سلسلة التفسيرات الصينية القديمة والعلمية

الحديثه للآي جنك. فهل سنستطيع ان نتعرف على هذه الشفرة السرية التي تجمع الذرة والمجرة والكائن الحي ببرنامج جيناته ومورثاته؟ وسنعتقد فصلا للعلاقة الغير مدروسة بين الآي جنك وعلم الرمل المعروف بعلم النقطة في العربية ومدى التشابه والاختلاف في قدراتهم التنبؤية وهي أول محاولة من نوعها في هذا الباب.



حينما يذكر الباحثون ان أساس كتاب الأي جنك أو التغيرات يعود إلى أعماق سحيقة في التاريخ الصيني قد تصل إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ويصفونه بأنه أول وأقدم كتاب في التاريخ، فإن هذا القدم يلقي على الباحث في مضامين الكتاب ان ضرورة أن يتعرض لطابع العصر الذي ولد فيه هذا الكتاب لكي يستطيع ان يفهم لغته المعقدة ورموزه المثيرة ودلالاته الرمزية التي ترتبط بطابع الفكر الذي كان سائدا آنذاك، ومما يزيد في ضرورة هذا المطلب ان الأساطير والإشارات الغامضة التي تحمل معاني خاصة بذلك العصر جاءت في الكتاب بشكل لا يسمح بتفسيرها ضمن معطيات عصر مختلف سواء في الصين أو غيرها، فالأسطورة والرمز والديانة تلعب دورا في معرفة حقيقة التفكير السائد لزمانها كما أنها تتطور كمعطيات مع تطور الشعب الذي يستخدمها ولهذا فإن الخلفية الفكرية والثقافية للشعب الصيني قبل الميلاد ستلعب دورا في فهم طبيعة هذا الكتاب الذي لعب دورا كبيرا جدا في تاريخ هذا الشعب وحكامه. وأول ملاحظة على التاريخ الفكري للصين

عموما هو انه فكر يعتمد الحكمة العملية للحياة لا على أساس المنطق أو نظرية معرفة أو منهجية خاصة بل على أساس من تصور أولي في الفكر الصيني يدمج بين الإنسان والكون كوحدة واحدة، فما ينطبق على الكون ينطبق على الإنسان لانه جزء من الكون مهما علت درجته أو انخفضت، ومن هنا فمن الخطأ الحديث عن مفهوم فلسفي بالمعنى الغربي في الفكر الصيني والصحيح الحديث عن الحكمة العملية فيه من هنا كما يقول أحد الباحثين في الفكر الصيني وحكمته ^(١) [فلو تساءل القاريء الكريم هل توجد مدرسة فلسفية صينية تشابه مدرسة ديكارت أو كانط تقوم على المنطق والإقناع العقلي فيما يتصل بالمعرفة أو الحقيقة أو الكون لكانت الإجابة بالنفي] ويفسر هذا الباحث سبب ذلك بالقول (ذلك لان المزاج الصيني لا يستسيغ هذا النمط من التفكير، بحكم ان العوامل الطبيعية وظروف الحياة الواقعة لا تزال تؤثر في الفكر الصيني فلا يلقي بالا إلى تزمت المنطقي وحذلقة ولا يسلم أبدا بصحة رأي إنسان وبطلان رأي آخر، فليس ثمة لديه نظام مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحكماء الصين يصدفون عن الاستعانة في بحوثهم بالمصطلحات

(١) حكمة للصين

الأكاديمية وبالتعبيرات العلمية التي لا يدرك كنهها إلا صفوة المفكرين المتخصصين فهم يسعون دائما إلى تبسيط آرائهم في لغة سهلة، وأسلوب بسيط في تناول إلهام العامة [ان طابع المعرفة الواقعية في الحياة هو الذي يقود الصيني لطلب المعرفة ولا يطلب المعرفة لاجل المعرفة فالصينيون لم يعتبروا المعرفة شيئا ذا قيمة في حد ذاته مما صرفهم عن نشدان المعرفة من اجل مجرد المعرفة بل انه حتى بالنسبة للمعرفة العملية المنحى التي تؤثر تأثيرا مباشرا على السعادة العاجلة لمجد الصينيين يؤثرون تطبيق هذه المعرفة

على السلوك الواقعي الذي يقود إلى السعادة مباشرة على الخوض في مناقشات جدلية بشأنها يعتبرونها هم فارغة لا جدوى من ورائها ولهذا السبب لم يعمل الصينيون على إنشاء مذاهب فكرية أو فلسفية كما هي عند اليونانيين أو الغربيين. وغاية ما كان يسعى إليه حكماء الصين هو تعليم طرق الوصول إلى ما أسموه (الحكيم الباطن والملك الخارجي) . والحكيم الباطن في رأيهم هو الإنسان الذي أقام الفضيلة في ذاته والملك الخارجي هو الذي ألجز أفعالا رائعة في العالم فمناط مثل الإنسان الأعلى : ان يجمع بين فضيلة الحكمة وإنجاز أعمال

الملوك فيغدو ملكا حكيما ومن الغريب ان المعرفة ليست فضيلة عند الصينيين في حد ذاتها وكما هي عند سقراط مثلا لان الحكمة المطلوبة لا تتطلب كثير معرفة في رأيهم ويقولون [إذا كان الفرد حكيما يظل حكيما حتى وان افتقر تماما إلى المعرفة الثقافية، وإذا كان إنسان سوء يظل شريرا حتى وان حاز معرفة لا حدود لها].

ان عدم الفصل بين الذات والعالم في الفكر الصيني القديم جعل هذا الفكر لا يعاني ما تعانيه نظرية المعرفة الفلسفية من مشكلة الثنائية هذه، كما لا نجد معالجات كثيرة للمواضيع الميتافيزيقية. لقد عبد الصينيون القدامى خمسة أباطرة أسطوريين اعتبروهم أنصاف آلهة ونسبو إليهم كشف الزراعة وتنظيم الري أما أول حاكم بشري يذكرونه فهو الإمبراطور (ياو) الذي حكم الصين (٢٣٥٧-٢٢٥٦، ق م) وخلفه هذا الحاكم وزيره القديم شون ٢٢٥٥-٢٢٠٦ قبل الميلاد الذي خلفه الإمبراطور (يو) مؤسس أول أسرة مالكة صينية عرفت باسم (هسيا) لبثت تحكم البلاد حتى عام ١٧٦٦ قبل الميلاد ... الخ. وقد وصلت ألينا ماثورات صينية تعود إلى حوالي ١٤٠٠ قبل الميلاد كتبت على أحجار وعظام وفيها طقوس السكان الدينية وتنظيمهم السياسي ولكن ليس فيها

مدلولات فكرية على ان الحضارة في الصين لم تتخذ طابعاً محدداً إلا في عهد أسرة (تشو) التي بدأت عام ١١٢٢ قبل الميلاد، كما ان الصين لم تكن وحدة واحدة ولم تتوحد إلا في ٢٢١ قبل الميلاد حيث وحد القائد (تشين شيه) الصين تحت حكم أسرة تشين، ان هذا القائد لم يستطع توحيد الصين وإبقاءها موحدة إلا بعد ان قام بحرق تراث الصين من الكتب وحرّم اقتناء كتب الشعر والتاريخ وحظر قيام المذاهب الفلسفية على اختلافها بيد ان الإمبراطور لم يحرق إلا ما في حوزة الناس ولم يمس السجلات الرسمية بسوء وقد اقتصر على تحريم التعليم الخاص لارغام الناس على الاتجاه إلى طبقة المدرسين الرسميين ليتولوا تعليمهم وابتغى من وراء ذلك في حرق المكتبات الخاصة توحيد مقاييس الفكر^(٢). وقد ذوى حكم أسرة تشين الهمجية عام ٢٠٧ قبل الميلاد فاخذ الفكر الصيني يزدهر ويتزعرع من جديد في ظل حكم أسرة (هان) التي امتاز ملوكها بتشجيع القضايا الفكرية، وقد قام الأمير هواي - نان مات ١٢٢ قبل الميلاد ببذل مختلف ضروب التشجيع للمحيطين به من المفكرين لكتابة

(٢) نفسه للمصدر ص ٢٧

مؤلف تسجل فيه جميع الآراء الفلسفية الشائعة في عصره دون فارق بين مدرسة فكرية وأخرى.

على ان التراث الصيني القديم كما هو حال البشرية القديمة عموما ساهد الاعتقاد بان الظواهر الطبيعية والأوضاع البشرية تقع جميعها تحت سيطرة إلهية وقوة خارقة للطبيعة، فكان ان جعل الصينيون كغيرهم من الشعوب القديمة - اعتمادهم ينصب على السحرة والعرافين باعتبارهم الواسطة بين الناس والأرواح وساد الاعتقاد بان الأرواح بوسعها تحقيق السعادة للبشرية وان تتلقى القرابين وان تندمج في الكائنات البشرية وادعوا قدرتها على التجسد، أي ان قدماء الصينيين ربطوا بين أفعال الأرواح وتصرفات البشر برباط وثيق استحال معه الفصل بين فعل البشر وفعل الروح وفي عهد لاحق انبعثت فكرة السماء والإله لكن ظلت فكرة الأرواح العتيقة تسود العقول والإفهام ان الإيمان بالأرواح وقدرتها على التحكم بمصائر الناس قاد إلى الاعتقاد بالعرافة والسحر إذ آمن قدماء الصينيين أيماناً راسخاً بوجود تأثير مكين متبادل بين الأشياء في الكون والشؤون البشرية الأمر الذي أوجب عليهم الاستعانة بكافة ضروب الكهانة ويفضل ملاحظة الظواهر الطبيعية ادعوا القدرة

على التنبؤ بالكوارث المقبلة أو الرخاء الآتي. وأهم أشكال الكهانة التي كانت سائدة لدى الصينيين هي التنجيم ويعتبر أهمها والتقدير الذي يعين الفصول الأربعة بغية ضبط أوقات الاعتدالين والانقلابين وملاحظة فترات الشمس والقمر والكواكب الخمسة لتيسر دراسة أحوال البرد والحر والحياة والموت والثالث يتصل بالعناصر الخمسة التراب، الخشب، المعدن، النار، الماء، أما الشكل الرابع فيتعلق بأوراق نبات العرافة وهي زهرة القنديل فكان طالب المعرفة حظه يقطع أوراق الزهرة ورقة ورقة وفي الورقة الأخيرة يتمثل الرد على رغبته، أما صدفة السلحفاة فكان العراف يثقب حفرة فيها ويتعويضه للحرارة تظهر عدة شروخ يفسرها العراف على أنها إجابة عن سؤال، والشكل الخامس الكهانة الأحلام والشكل السادس هي طريقة الأشكال ومدارها قياس وأحصاء، عظام والحيوانات المستأنسة الستة، الحصان، الثور، الخنزير، الغنم، الكلب، الدجاج، وكانت هذه الطريقة تستخدم عند بناء سور المدينة أو منزل أو كوخ.

ان مراجعة للتراث الصيني قبل كونفوشيوس تدلنا على وجود خمسة مؤلفات استخدمها معلم الصين الأول لتثقيف مريد يديه وهي.

الأغاني. التاريخ. الطقوس، حوليات الربيع والخريف - التغيرات الأي جنك. ويقول حكماء الصيني بان لكل كتاب وظيفته، فالأغاني تصف الدوافع وتضمن الموسيقى التناسق ويبين التاريخ الأحداث وتوجه الطقوس السلوك وتظهر الحوليات الواجبات والصفات المميزة، ويكشف كتاب التغيرات النقاب عن تحركات الكون.

ان كتاب الأغاني يتألف من حوالي ثلثمائة بيت من الشعر يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد وبعضها أغان شعبية كانت شائعة في الصين في العهد الإقطاعي وفيها أغاني للأرستقراطية عند تقديم الغربيين والولائم وغيرها أما كتاب التاريخ ففيه سجل للأحداث الهامة التي أدلى بها الحكام والحكماء أو مستشارو الدولة إذ كانت عادة صينية قديمة حميدة ترجع إلى مطلع التاريخ الصيني تقضي بتسجيل الخطب والرسائل كتابة وفيه ثمانى وخمسين قطعة وقد كتب كونفوشيوس مقدمة لكل وثيقة توضح ظروف تأليفها وفيها وثائق تتحدث عن الإمبراطورين الحكيمين باو وشون وتسرد مآثرهما، فتذكر عن الإمبراطور رياو انه لما حكم البلاد سبعين سنة وأمن بعجزه عن أدارتها بكفاية صدق عن

تنصيب ولده البكر على العرش وتنازل عن التاج لفلاح فقير يدعى (شون) اشتهر بالحكمة والخلق القويم.

أما كتاب الطقوس فهو مجموعة نصوص تتناول مواضيع متعددة منها السلوك في الحياة اليومية وأما الكتاب حوليات الربيع والخريف فهو سجل مختصر وجيز لأحداث مملكة لو للفترة ٧٢٢-٤٨١ ق ج وتنسب هذه الحوليات إلى جمع كونفوتسوس لها من سجلات كانت محفوظة في تلك المملكة.

وأخيرا كتاب التغيرات الأي جنك الذي ينسب إلى أزمان سحيقة كما ذكرنا وقد وضع له كونفوتسوس حواشي عديدة. ان الملاحظات التي يسجلها أحد الباحثين على هذه المراجع الخمسة تلخص بما يلي^(٣).

١ - أنها جميعها تقريبا يرجع عهدا إلى ما قبل كونفوشيوس فهي تمثل اتجاهات الشعب الصيني الأدبية في مطلع تاريخه.

٢ - يعتقد إجماع الباحثين على ان كونفوتسوس نفسه قد تولي تجهيز نصوص المراجع وأعدادها للنشر وعلق عليها.

(٣) حكمة للصين حـ ١ ص ٤١

٣- أصبحت هذه المراجع منذ القرن الأول الميلادي أي بعدما ما سادت الآراء الكونفوشيوس الفكر الصيني موضع دراسات الطبقة المثقفة وغاية تطلعاتها الثقافية.

٤- اعتبر كتاب التغيرات وصفيا للكيان الميتافيزيقي للكون.

٥- اعتبرت الخطب الواردة بكتاب التاريخ سجلا لتنظيمات الدولة وأعمال الحكومة خلال عصور الملوك الحكماء وأصبحت نماذج ينصح الحكام في العصور التالية بالنهج على منواها.

٦- فسرت الأغاني الشعبية وأناشيد الطقوس الواردة في كتاب الأغاني على أنها تعبير عن عواطف المحبة والتقدير التي يكنها الشعب للحكم الصالح وسخطه على الحكم السيئ.

٧- أصبح كتاب الطقوس الحكم الأخير في جميع ما يتصل بآداب السلوك.

٨- لم يعتبر حوليات الربيع والخريف مجرد سجل لوقائع حدثت في منطقة معينة من الصين، بل اعتبرت وسيلة تحقق لكونفوشيوس نقل أحكامه على الناس والأحداث في ماضي الزمان

وتضم بين طياتها طائفة من القوانين والمبادئ الخلقية التي تهدي الحكام سواء السبيل.

أما بالنسبة لمعتقدات الشعب الصيني في مطلع تاريخه فقد تبلورت فيما يلي.

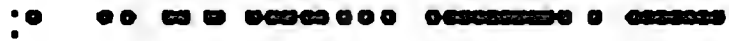
١ - أيمان بمعبود علوي أو قوة خلقية تسيطر على العالم وتهتم اهتماما شخيصيا فائقا بأمور البشر.

٢ - تصديق بوجود عدد من أرواح الطبيعة وأرواح الأجداد، وعلى الناس ان يترضوا هذه الأرواح عن طريق بذل القرابين.

٣ - اعتقاد في الإجازة الربانية للنظام السياسي وفي مسؤولية الحاكم الخطيرة على المجاز واجباته المعنوية ازاء السماء وتجاه رعاياه.

في هذه الخلفية الثقافية والفكرية مارس كتاب الأي جنك (التغيرات) وجوده ونشاطه وبقي يعمل منذ ذلك العصر إلى اليوم بشكل يجعل الإنسان الغربي ذو العقل المنطقي والتجريبية العلمية يقف أمامه مدهوشا خائفا وهو يستشير وكأنه كتاب حي يتحدث إليك برموز وضعت قبل آلاف السنين فتجد جوابه اليوم صادقا، فما هو الموقف السابق للصينيين من هذا الكتاب؟ وكيف استمر يؤثر بحياتهم عبر مختلف

العصور والثقافات وحتى اليوم؟ بل وكيف نستطيع نحن أبناء القرن العشرين ان نتعامل مع كتاب رمزي مطلق ذي تصورات صينية صرفة دون ان نخش الخداع الذي انكشفت ممارساته في اكثر عمليات الكهانة والسحر ومات كل ذلك؟:



لم يكن لأي كتاب اثر في حياة شعب أو أمة - عدا الكتب السماوية المنزلة - مثل ما كان لكتاب الآي جنك للصين فلهذا الكتاب عند المفكرين الصينيين ^(٤) منزلة رفيعة، أنزلته منزلة التقدير ويكفي الإشارة إلى تكريس الدولة في الصين القديمة أساتذة يعكفون على دراسته حتى ليقدر عدد الرسائل التي صنفت عليه بألفي رسالة حتى عام ١٦٩٢ ميلادية، وعلى مدار تاريخ الصين الطويل استمد منه المصلحون العظام إلهامهم و وحيهم، ووجدوا فيه سنداً فكرياً يمكنهم من تمهيد الطريق الفكري أمام إصلاحاتهم كما كان عامة الشعب يستشيرونه فكلما جابهت الفرد مشكلات الحياة تولى شطر الكتاب يسأله، فلقد اعتبره

(٤) مجلة المعرفة ص ٣٧ ع ١٨٨ سنة ١٩٧٧

الناس وسيلتهم لمعرفة الإنسان وأدراك كنه الكون، وترجع التقاليد الصينية الماثورة العهد بتأليف الكتاب إلى عام ٣٣٢٢ ق.ج. وتنسبه إلى الملك الحكيم (فيوهسي) البطل الثقافي الأسطوري أول من ابتكر المتواليات ذات الخطوط أساس الكتاب، ومهما يكن من أمر صحة هذا التاريخ فلا شك ان فكرة الكتاب موعلة في القدم، ولعل اقرب الأمور إلى الحقيقة، ان الملك (ون) مؤسس أسرة تشور الملكية ١١٥٠-٤٩ قبل الميلاد هو الذي جمع مواد الكتاب المتفرقة وبقربها في الصورة التي أصبح عليها قبلما يلحق به حكام هذه الأسرة الكثير من مواد التراث الشعبي ويذيله كونفوشيوس ومريدوه بتلك الحواشيء والتعليقات التي أصبحت من صلب الكتاب في صورته الحالية المتداولة ويطلق على الإضافات الكونفشيوسية اسم (الأجنحة) وتؤلف جماع مناقشات مع مريديه عن الكتاب.. ولقد اقبل العلماء أنفسهم على الاستعانة برموز هذا الكتاب في أبحاثهم ودراساتهم فأصبحت عماد الفكر الصيني في السياسة والفلسفة والآداب والأخلاقيات والاجتماع والقانون والطب ... الخ. ولم تبدأ مدرسة فلسفية واحدة حتى من الاستعانة بهذا الكتاب بطريقة أو أخرى وما برح هذا الكتاب تأثيره على الفكر الصيني وقتنا الحاضر.

لقد كانت هذه الاستثنائية لهذا الكتاب تعكس نفسها في جميع الممارسات الصينية ولكل صيني بشكل يتناسب ووصفه، لقد قال لأوتي ذات مرة ((جوهر كل شيء التغير وجوهر التغير الأي جنك)) أما كونفوشيوس فينسب إليه قوله في أواخر أيامه [لو منحت خمسين سنة أخرى لا عيشها لكرستها بأجمعها للتأمل في الأي جنك] ويعلق أحد الكتاب على أهمية الأي جنك بالنسبة للصين قائلًا [ليس من الغلو القول بأن تاريخ الحضارة الصينية هو تاريخ الأي جنك إذ أن كل ما أعطته الصين من سحر أخذته منه وكل ما أدخلته من أديان أخرجته منه وكل ما فرعته من فلسفات أصله منه وكل ما حققته من علوم تخيلته فيه فلا يكاد يوجد شيء في الصين إلا وتأثر بالأي جنك من أمور الحياة اليومية للفرد وللزوجين والأسرة والشارع والقرية والمدينة والدولة إلى أمور الصناعة والزراعة والتجارة والاقتصاد من فن الإدارة المنزلية إلى فن الإدارة السياسية، من فن تربية الأطفال إلى فن تربية اللواجن، من الهندسة إلى الهندسة، من كل ما يتخيله المرء إلى كل ما لا يتخيله إذ ما من شيء قادر على التملص من طوق الأي جنك وما من شيء إلا ويمكن إقحامه في الأي جنك وعلى هذا فإن كل ما نبت ونما وتفرع وأورق وأزهر

وأثر في حقل الحضارة الصينية كانت بذرته في الأي جنك، وتأكيذا لهذا تكفي المعرفة بان كل ما جرى في الصين قديما وحديثا قد بدأت انطلاقته من الأي جنك فأكبر المدارس السحرية - مدرسة فانج تشي - وأهم الديانات - الديانة التاويه - وأقوى الفلسفات الفلسفة الأخلاقية - وأهم المنجزات العلمية - الآلة الذاتية الحركة - في الصين القديمة وكل ما جرى بين ضفتي نهر الحضارة الصينية قد استقى من نبع الأي جنك وتفرع سواقي وانهارا وروافد وسيولا ليشكل من الأي جنك بحرا لا يسبر غوره ، وتقليل العجب يستدعي أيضا التذكر بان الأي جنك هو الكتاب الوحيد من بين جميع الكتب الذي نجا من الحريق الكبير الذي قام به الطاغية شانج شي هانج تي، وأما في العصر الحديث فان هناك كثير من القرائن الدالة كما ان هناك نوعا من الاعتراف الضمني صدر عن ماوتسي تونغ بان الأسس النظرية التي ركز عليها فكره الثوري والمنطلقات العملية التي سار عليها لتحقيق الثورة الصينية الكبرى إنما هي مزيج من الماركسية اللينينية بمعطيات الأي جنك] .

أذن فان كتاب الأي جنك هو روح الصين وخلاصة مركزة لحضارتها وقائدا لحركاتها وحكامها وشعوبها وأفرادها وقد قيل ان

الصيني يمشي على قدمين هما الكتاب الأحمر لماوتسي تونغ والأي جنك وإذا بترت إحداهما أصيب المرء بالعرج. بل ان بعض الحكام فرض على نفسه إلا يقبل أي شيء إذا لم يكن في هذا الكتاب إشارة إليه ولو ضئيلة، وعلى الرغم من ان الثورة الصينية الحديثة منعت كل ممارسة فتاحي الفال وكاشفي البخت إلا ان هذا الكتاب بقي كتاب البيت الصيني وركيزة مكتبته مع الكتاب الأحمر، لقد جمع هذا الكتاب أذن الثقافة الشعبية الصينية لسكان البلد الأصليين وصعد معهم إلى البرج العاجية بمعارفها فخمها وقطرها وعمقها لتكون كالماء أو كالخمر كما صعد بتجارها فغربلها ودرسها وطحنها وعجنها ونخبزها لتكون كالخبز أو كالآدام اليومي ثم رد البضائع إلى أصحابها ليعيشوا عليها جيلا بعد جيل مما أعطى الصين قيمة حضارية أجبرت المستخفين على التقدير. والمقدرين على التعظيم؟ ...

لقد ارتبط كتاب الأي جنك بالصيني ارتباطا لم يرتبط به إنسان بكتاب غير سماوي مثله، واخذ الصيني بعد انتشار الكتاب في الشرق الأقصى يحس بقيمة انتمائه للكتاب وانتماء الكتاب له لقد كان الصيني حينما يفكر بان هذا الكتاب صيني المنبت والأصل والمنشأ اخذ يغزو دول

الشرق الأقصى يحس به كمسالة وطنية أو شعور وطني إضافي، وهذا ما أدى الشعب الصيني إلى اعتباره كتاب أساسيا وإلى إكباره كرمز أسمى للحس الوطني والوحدة الشعبية وإلى تقديسه تقديس الشعوب لشهادتها وأبطالها وإلى الانكباب عليه انكباب المرء على موارده الذاتية والتصرف به تصرف الإنسان بممتلكاته الخاصة وذلك بحرية ومسؤولية مجبو تربية ويذكر أحد الكتاب^(٥) ان هذا الكتاب ظهر في العالم الغربي داخل كتاب الفلسفة الكونفوشية لأول مرة عام ١٦٨٧ حينما ترجم هذا الكتاب من أربعة من الرهبان اليسوعيين إلى اللغة الفرنسية وفي عام ١٧٨٣ أرسل أسقف كلاوديوبوليس إلى أحد مجامع الكرادلة نشرة محسن الآي جنك تضمنت المقطع التالي (إذا صدقنا ما جاء في التواريخ الصينية فان هذا الكتاب يرجع إلى ٤٧٠٠ سنة خلت فإذا كان هذا صحيحا كما يؤكد كل فرد من سكان هذا البلد أمكننا اعتباره هذا الكتاب أقدم كتاب في العالم، ومع ذلك فالآي جنك لا يبدو كتابا ولا أي شيء يشبه الكتاب بل يبدو لغوا، غامضا، مبهما، أكثر مئة مرة من غموض وإبهام أبي الهول، وفي عام ١٨٣٤ ترجم الآي جنك إلى اللاتينية ولكن مع كل هذا فان الكتاب

(٥) مجلة المعرفة ص ٤٢.

لم ينتشر إلا في مطلع القرن العشرين بعد ان أخذت ترجمات نصوصه إلى اللغات الغربية الحية تتوفر بين الأيدي وفي الأسواق، وتعتبر اكمل ترجمة إلى العالم الغربي التي أنجزها ريتشارد وللم بعد جهد استغرق منه أكثر من عشر سنوات والتي قدم لها العالم النفسي يونغ بدراسة ركز فيها على جانب كشف الغيب في الأي جنك وأضاف إليها بعد ذلك آراء جديدة في كتاب الإنسان ورموزه. ويصفه الكاتب ستان كوش بقوله ^(٦) [ان كتاب أي جنك معجزة أزلية حية يعود تاريخها إلى آلاف السنين واستمرت ليومنا هذا ... انه من الحكمة الصينية القديمة وهو بمثابة مهبط الوحي الذي يتحدث عن المستقبل] ويضيف ستان كوش [الكتاب قديم جدا يعود تاريخه إلى ما قبل عصر الكتابة وكان في الأساس تراث شفاهي، فقبل آلاف السنين كان الناس يثقون كثيرا بالقدرة الخدسية ويستطيعون التحكم بها إذ لم يكن لديهم عالم يقف في طريقهم ويضع نفسه بينهم وبين حقيقتهم].

(٦) نشرة للبياسيكولوجر جـ ٦ ص ١٨-١٩.

ويصفه كلاي وولتهام بقوله [٧] "قد يكون اقدم كتاب في العالم، وحكمته ترجع إلى حكماء الصين القدامى وقد اشتغل الباحثون بدراسته لأكثر من خمسين قرنا من الزمان، انه يفصل العلاقات المعقدة والدقيقة بين الإنسان والعالم من حوله، انه يستخدم باعتباره كتابا تنبؤيا، باعتباره وسيلة للتنبؤ بالمستقبل،" (٨) وفي مقارنة بين الآي جنك وأوراق التاروت يعلق كولن ولسن على الكتاب قائلا [٩] "وهناك جانب واحد تبلو فيه أوراق التاروت أدنى من مستوى كتاب أي جنك، فقد أوضحت من قبل انه رغم ان كتاب أي جنك هو كتاب للكشف عن الغيب وقراءة الطالع في المستقبل فانه يحاول أيضا ان يرفع العقل إلى مستوى أعلى من مستوى طرح الأسئلة عما هو مقدر له، أي انه يحاول ان يجعل العقل نشيطا مسيطرا على ذاته بدلا من ان يظل مهموما في سلبية بما يجئ له المستقبل).

(٧) نشرة للنياسيكولوجر. ج ٨ ص ٢٨.

(٨) الإنسان وقواه الخفية ص ١٢٩.

(٩) مجلة المعرفة ص ٣٦-٣٧.

وهكذا نصل إلى ان هذا الكتاب هو أحد أهم كتب العالم التي ظهرت في التاريخ، لانه يمثل ^(١٠) أول جهد قام به العقل البشري لموضعه الإنسان في الكون ولموضعه الكون في الإنسان، جهد بزغ مع فجر الحضارة في الصين وظل مستمرا يتفاعل ويفعل في الحضارة الصينية وفي الحضارات الأخرى حتى هذا اليوم، ولقد انطلق هذا الجهد من حقيقة ان مايطراً من تحولات عن الطبيعة الفردية هو ذات مايطراً من تحولات على الطبيعة الكونية وهدف اول ما هدف إلى ان يكون كتاباً في الاستخارة يخلص الإنسان من مشكلة الاختبار ثم تحول هو أيضاً بدوره إلى مقلع للفنون السحرية ومنبع للإلهامات الدينية ومهب للمبادئ الفلسفية ومقبس للإنجازات العلمية فصار كتاباً للمعرفة ذا غط فكري في احتواء كل أنماط عالم الفكر عن طريق اسر الكون في قفص عدد من التكوينات الهندسية التي سيتضمن كل واحد منها عدد متساوياً من خطوط قد تكون منفصلة وقد تكون متصلة، خطوط تتحول وتتغير وتبديل من مكانها مرة بعد مرة لترسم بهذا التحول والتغير والتبديل دورة الحياة الفردية في دائرة الحركة الكونية ومسار الحركة الكونية في حلقة الحياة الفردية ... الخ ان

التاريخ لا يذكر كتابا أدبيا وضعيا بشريا غير منزل أو ملهم أو موحى به
أهيا كالأى جنك كان له وما يزال حتى الآن مثل هذا التأثير الكبير على
المستوى الفردي والجماعي والعام إذ ان الأى جنك شغل اهتمام كل
الفئات من مثقفين وأمين وسحرة ومشعوذين ومتدينين وملحدین
وفلاسفة ومتفكرين وعلماء وحبلاء سواء بسواء ويبدو هذا الاهتمام
وهذا التأثير أكثر ما يبدو في الصين منبت الأى جنك الأصلي وفي البلدان
المجاورة التي تنبت الأى جنك فيما بعد كفيتنام والتبت واليابان وأجزاء
كبيرة من الهند وبلدان أخرى وفي كل فرد اطلع عليه في أي نحو من أنحاء
العالم، ان البحوث والدراسات أدت إلى ان كثيرا من حكام الدول المجاورة
للصين كانوا يرسلون بعضا من حكمائهم إلى الصين ليدرسوا ويستزيدوا
من ثمرات الأى جنك. فما هو السر الكائن وراء هذا الكتاب العجيب؟
وكيف توصل حكماء الصين الأوائل إلى كتابته واستخراج واستخلاص
أحكامه من مفردات ساذجة بسيطة لا تتجاوز السليبي والإيجابي وصف
الطبيعة؟ وكيف تأتي أحكام هذا الكتاب مناسبة للموضوع المسؤول عنه
دون أي رابط موضوعي بينهما سوى نية السائل الذاتية وحروف الكتاب
الموضوعية؟ ثم كيف يمكن لا أعداد محدودة من الأشكال لا تتجاوز (٦٤)

شكلا ان تجيب على ملايين التساؤلات المختلفة دون ان تخطيء أو حتى
تضيع في وسط هذه الملايين؟. هل في الكتاب حياة؟ هل فيه روح؟ هل
هو كائن حي؟ ولماذا يطالب السائل ان يتعامل أخلاقيا مع الكتاب وكأنه
ليس ورقا وحروفا مسطرة عليهما؟ وهل حقيقة ان اللاشعور هو أساس
التفسير كما يقول يونغ أو انه في الكتاب وغموضه وأسراره؟. الآي جنك
/ والتفسيرات الصينية.

لا شك ان البدايات القديمة لاستخدامات الآي جنك كانت لا تتجاوز
مسألة الاستخارة وقد كانت طرق ووسائل الاستخارة واسعة الانتشار،
وكثيرة الاستعمال في الأزمنة القديمة وكانت كلها على تعددها متشابهة في
النتيجة التي تهدف إلى حسم مشكلة الاختبار بنعم أو لا وهذا كان هو
الهدف الأساسي لهذا الكتاب ووظيفته الأصلية، ويعتقد بعض المؤلفين ان
الخط المتصل كان يعني نعم وان الخط المنفصل كان يعني لا في أي
استخارة ولما دعت الحاجة إلى إجابات أكثر تفصيلا تم مزج وربط
الخطوط المفردة بعضها ببعض فتشكلت أربعة تكاوين هندسية مزدوجة
الخط ثم وتلبية لحاجة الناس إلى زيادة معرفة زيد خط ثالث إلى
التكوينات الأربعة المزدوجة الخط فنتجت الأشكال الثمانية ثلاثية الخط

وهذه الثوالت الثمانية هي رموز موقوفة الحالات التغير المستمر، أنها صورة تظل مستمرة في التغير بثبات ودوام، وهي صورة لحركة الأشياء في مسار التغير ولا تمثل الأشياء ذاتها، على أن مهمة الكتاب عبر الزمن تغيرت من كتاب استخارة إلى كتاب تنبؤ مستقبلي وكتاب معرفة، فإذا كان المستخير في السابق يبقى عند حدود نعم ولا دون أن يعرف سببا أو تفسيراً لهذه الاختبارات أصبح يريد أن يفهم ما الذي يجعل الأمر إيجاباً أو سلباً وبدأ الوعي الإنساني بالتعرف على أسباب هذه الآلية وبدأ يحاول أن يفك غموض هذه الأشكال الهندسية وكيف تعمل ليزداد فناعة وفي سبيل أن يسهل استخدامه من كل الناس طرحت عدة تفسيرات وملاحق وهوامش تجاوزت إلى القرن السابع الميلادي ألفي ملحق أو هامش أو تفسير، فكيف تطورت هذه التفسيرات والملاحق وهل فعلاً أضاعت لنا سرا من أسرار هذا الكتاب العجيب؟.

أن النص القديم للكتاب فيه غموض شديد وعبارات قصيرة لا تتجاوز بضعة أسطر وقد عمل فوهسي على تأليف هذه الثمانيات من ملاحظته للطبيعة ولنفسه ودمج في فهمه بينها ونسب جمع الكتاب إليه ويعتبر فوهسي هو أساس الكتاب وقد جاء عنه في هذا الكتاب عبر ملاحقه أنه

وصل إلى حكم كل ذلك الذي كان يصادف تحت السموات رافعا بصره،
تأمل الأشكال البراقة التي كانت تتصاعد نحو الأعالي وبنزله لاحظ
التفاصيل التي تعرضها عليه الأرض تمنع في الظواهر الزخرفية للطير
والبهائم.

ومختلف خصائص التربة اكتشف بان الأشياء الموجودة داخل كيانه هي
ذات الأشياء التي تسمح له المسافة بتأملها.

أما التفسير الآخر فينسب إلى الملك وان مؤسس سلالة كاو الذي عاش
في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ويعزى إليه الفصل في ترتيب السواديس
وتسميتها وفي كتابة أول تفسير لها وهو تفسير أجمالي لا يتطرق إلى تفصيل
وشرح كل خط على حدة، ويأتي بعده الملك شان أو الدوق كاو وهو من
يعزى إليه الفصل في كتابة الشروح التفصيلية لكل سادس خط بخط على
ان كل هذه التفسيرات بقيت قاصرة عن كشف غموض وإبهام الأي
جنك، ومن هنا فقد تعددت الملاحق ووصلنا منها سبعة فقط هي على
التوالي. (١١)

١- الملحق الأول وينطوي على تفاصيل زيدت بكلمة أو بعدة كلمات وأضيفت جملة أو عدة جمل بين سياق ما كتبه الملك وان في تفسيره العالم الإجمالي.

٢- الملحق الثاني وينطوي على حواريات لأسئلة وأجوبة مستنبطة مما كتبه الدوق كاو في شرحه التفصيلي وذلك لخلق جو من العلاقة المباشرة بين القاريء والمقروء.

٣- الملحق الثالث ويسمى الملحق الكبير وهو الملحق المنسوبة كتابته إلى كونفوشيوس، وفيه تفاسير صعبة وشروح معقدة ابتعدت في كثير من الأحيان عن فحوى وغاية الآي جنك الأصلية مما أدى إلى تأسيس مدرسة خاصة اهتمت بتفسير تفاسير هذا الملحق وبشرح شروحه.

٤- الملحق الرابع ويحتوي على تأملات طويلة وتعمقات مسهبة تدور حول السادوسين الأولين اللذين يمثلان السماء والأرض.

٥- الملحق الخامس ويتضمن كل المعاني التي أعطيت للتواليث الثمانية حتى زمن كونفوشيوس وهذا الملحق هو الذي جعل الناس في الأفطار يظنون بان الآي جنك ما هو غير قاموس في اللغة الصينية ومترادفاتها.

٦- الملحق السادس ويضم تنفيذاً للأسباب التي دعت إلى تنظيم السواديس، بالترتيب المتالي والمتابع الذي تدرج تحته داخل الكتاب.

٧- الملحق السابع وفيه رؤية شعرية للأي جنك مستوحاة من عناوين السواديس وذلك عن طريق جمع هذه العناوين بشكل ثنائي كازواج ضمن دائرة الين يانغ التي تدور فتتابع على محل ما هو موجود والأدوار مرفقا لتحويلات الليل والنهار.

ان هذه الملاحق وضعت لتساعد على فهم الأي جنك وليست جزءاً منه. على ان هناك من يرى ان هذه الملاحق التي كانت بسبب غموض الكتاب الأصلي ساعد على لحو شتى الخرافات والأسرار حول الكتاب ولهذا من أراد ان يعرف ماهية هذا الكتاب عليه ان يزيد كل شوائب التفسير وأوساخ الشروح التي أفحمت عليه وهو يرى ان هذه الإزالة ضرورية ولا غنى عنها سواء بالنسبة للخزعبلات والاختلافات التي نماها إليه السحرة الصينيون أو بالنسبة لكل طريقة تسعى إلى فهمه على أساس النظريات الخرافية الحديثة التي تحاول تفسير كل الثقافات التاريخية بناء على معطيات فكرتها وخبرتها الهمجية البدائية وهكذا او بعد إجراء عملية التعزيل الثقافي في هذه يمكن الوصول إلى المبدأ الأساسي لفهم

الأي جنك إلا وهو كما يرى هذا الكتاب ان هذا الكتاب يجب النظر إليه على ضوء محتواه بالذات وثانياً يجب شرحه بحسب معطيات الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها تفسيراً وتفسيراً وشرحاً بشرح فبهذا ينقشع ضباب الغموض عنه ويضاء ظلام إيهامه مما يؤدي إلى الإدراك والملاحظة بان فهم الأي جنك لا يشكل للأذهان صعوبة أكبر من أي كتاب قديم.

اننا سنحاول فيما يلي تحديد التفسير الصيني للأي جنك ضمن اطار الفلسفة الصينية السابقة وضمن المحاولات اللاحقة للمدارس الفكرية الصينية كمدرسة الين واليانغ والتاويه اضافة إلى الكلونفوشيوسية كما سنحاول ان نعرف بالمصطلحات الواردة في هذه الفلسفة والتي ترد كثيراً في كتاب الأي جنك مستعينين بكل ما توفر لدينا من معلومات عنها، بحيث ان القارئ للأي جنك وأجوبته يستطيع ان يستكنه أو يستبطن المعنى الغامض فيه من خلال هذه التفسيرات، إضافة إلى انه يستطيع ان يفهم الأي جنك بعقلية صينية والتي كانت تعبر عن نفسها وروحها من خلال فلسفة الأي جنك نفسها ان صح التعبير، إضافة إلى ان كل هذا سيجعل القارئ ينشط حدسه في سياق المفهوم الصيني وليس خارجه، وهذا ما يجعله أكثر قدرة على فهمه واستيعابه واستخدامه بشكل سليم،

وقد اعتمدنا لقلة المصادر عن الفكر الصيني بهذا الجانب على كتاب
حكمة الصين جامعين فيه ما تنأثر هنا وهناك حول هذه المصطلحات
والمفاهيم والأراء.



حينما يتحدث كتاب الأي جنك عن نفسه نرى انه يتحدث عن عملية
التغير الشامل كأساس لكل الأشياء ويتحدث عن بدايات الثقافة البشرية
التي عكسها فوهسي مؤلف الكتاب عن ملاحظته للطبيعة وقراءته لها ثم
يتحدث عن أول سداسية لأشكالها وهي سداسية السماء والأرض ثم
يتحدث عن الأول الأعظم الذي سبق كل شيء ويفعل تحركه وسكونه
وجد اليانغ والين ومن ثم يتحدث عن الإخلاص كجوهر للحكمة ومبدأ
السماء الأصلي. فكيف يتحدث كتاب الأي جنك عن نفسه بنصوصه
الأصلية وقبل محاولات التفسير والإضافات اللاحقة : ونحن هنا ننقل
بعض هذه الفقرات والمقتطفات مختارين ما يعبر عن هدفنا من خلال
كتاب حكمة الصين وما فهمناه منها فنقول - (النص) :

١ - عملية التغير الشامل :

السماء مرتفعة والأرض منخفضة وبهذا تتحدد السماء والأرض، ومصداقا لهذا يتحدد مكان الشريف والوضيع. ولكل من الحركة والراحة وضعه الثابت، ومن هنا يختلف القوي عن الضعيف، وتتطابق السبل وفقا لأنواعها، وتنقسم الأشياء إلى رتب لذلك يحدث الحظ الحسن والحظ السيئ. وفي السماء تبدى الظواهر وعلى الأرض تعرض الأشكال، وعن طريق عرض الأشكال يصبح التغير والتحول واضحين. وهكذا تتفاعل خطوط المتواليات الثلاثية الثمانية الضعيفة والقوية ويؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به. ان الأشياء يستفزها الرعد فينبعث موسم البرد يتلوه موسم حرارة ان طريق السماء يكون المذكر أما طريق الأرض فيكون المؤنث، تميز السماء الابتداء العظيم في حين تضيء الأرض على الأشياء تمامها، ان أدراك السماء مستمر من السهولة واليسر. ان تعاقب حركة ألين واليانغ يؤلف ما يطلق عليه (السبيل القويم) ومنه ينبعث الشيء الصالح، ويبلغ مرتبة الكمال بفضل الفطرة البشرية، وعندما يميز الإنسان

السبيل القويم يطلق عليه (الإنسانية) لكن الحكيم يطلق عليه الحكمة،
وتعاقب ألين واليانغ هو عامل الإنشاء وإعادة الإنشاء.

التفسير : ان هذا النص يتضمن وصف موضوعي للأشياء والتقابل بينها.
فهناك سماء وارض وهناك ارتفاع وانخفاض، وهناك كان شريف ووضع
وهناك حركة وراحة وقوي وضعيف وهناك انقسام للأشياء ورتب يحدث
عنها حظ سيء وحظ حسن وهناك في السماء ظواهر وعلى الأرض
أشكال والأشكال الأرضية تتغير وتتحول، ويعبر عن كل هذا بشكل لكل
منهما فهناك قوي وضعيف - وهما يتفاعلا ويؤثر كل منهما بالآخر،
وهناك حرارة وبرودة وهناك مذكر سماوي ومؤنث ارضي من كل هذا
تولد مفهوم ألين واليانغ معبرا عنها بشكلين هما خط متصل شرطه لليانغ
وخط منقطع يعبر عنه بالين و من خلال تعاقبهما يكون الطريق ليصل إلى
الشيء الصالح.

ان هذه الأرضية الموضوعية للأشياء هي الرسم الأولي والخلفية الأساسية
لعملية التغير فما الذي يحدث بعدها حينما تدخل هذه الأشياء الوعي
البشري لتبدأ عملية الفهم والثقافة عنها؟

٢- بدايات الثقافة البشرية ١- عندما كان فوهسي - وهو مؤلف كتاب الأي جنك كما يقول الصينيون يحكم نص العالم - تطلع إلى السماء ليرصد مظاهرها، وشخص إلى الأرض ليعاين أشكالها، فلاحظ. أشكالها وسماتها وكيف توائم نفسها وفقا لبيئاتها أوصت إليه دراسته لبدنه نفسه طائفة من الآراء، لكنه مضى أبعد من ذلك فاستخلص أفكارا قيمة من دراسته للأشياء الأخرى وبفضل دراساته هذه ابتكر الثمان متواليات ذات الخطوط الثلاثية، لكي يفقه فضائل الكائنات الروحانية وليصف أحوال جميع المخلوقات.

التفسير : هنا دخل الوعي الإنساني المبدع فاخذ الثنائيات والأزواج المتناقضة المتفاعلة المذكورة سابقا وأعطاهما رموزا على شكل خطوط متصلة ومنفصلة وهي وسيلة مختصرة ورمزية للتعبير عن تفاعل الأشياء وتأثيرها ببعضها البعض، أي حول الحركة المادية المرصدة في السماء والأرض وتنوع أشكالها ومظاهرها إلى مجردات رياضية أو هندسية لسهولة وصفها وقياسها حينما يراد التعبير عنها، ولعل خير تعبير تفضيلي وأولي عن هذه الأشياء هو سداسية السماء والأرض.

٣- سداسية السماء والأرض : جميع خطوط متوالية السماء متصلة وتعبر عما هو عظيم مبدع ونافع وقويم وراسخ فالسما منشا جميع الأشياء ويفضلها تبدى في أشكاها الكاملة ويتبلور أسلوب السماء في التعبير والتبديل بحيث ينال كل شيء في الكون فطرته السليمة التي تحددها السماء وعندئذ يتحقق للكون الوحدة والتجانس. أما الأرض فجميع خطوطها الستة وتدين لها جميع الأشياء بمولدها وهي تتلقى طائعة - تأثيرات السماء فهي ساكنة سكونا تاما صفتها الوداعة والسماحة وتتبع سيدها.

التفسير :- ان السماء والأرض هي أول الأشياء وجودا ومنها تولدت كل الأشياء الأخرى لذا فقد أعطى الصينيون للسماء صفة الذكورة وللأرض صفة الأنوثة، فالقيادة بيد السماء ذات القوة والإيجابية البانغ والقبول عند الأرض ذات الاستكانة والسلية. وهكذا يأتي النص التالي باسم الأول الأعظم.

٤- الأول الأعظم : يولد الأول الأعظم بفعل تحركه البانج فإذا ما بلغ نشاطه انتهاء يركن إلى السكون، وفي خلال فترة سكونه يولد الين فإذا ما بلغ سكونه انتهاء تغد دورة جديدة من النشاط ومن ثمة تتعاقب الحركة

والسكون ويغدو كل منهما منشأ الآخر. وعن طريق تحول اليانغ والحداد مع ألين تتولد العوامل الخمسة الرئيسية. الماء. النار. الخشب. المعدن. التراب. ويفضل توزيع هذه القوى المادية الخمسة توزيعا متناسقا تسلك الفصول الأربعة سبلها المعروف وتؤلف العوامل الخمسة نظاما واحدا للين واليانغ، ويؤلف ألين واليانغ (الأول الأعلى) وتكون السماء عنصر التذكير، وتكون الأرض عنصر التأنيث وبوساطة تفاعل هاتين القوتين الماديتين يتم تكاثر آلاف الأشياء المؤلفة وتحولها، وتتكاثر ألوف الأشياء وتتوالد في تحول لا نهائي.

والإنسان وحده يتلقى القوى المادية في احسن حالاتها فهو بذلك اشرف المخلوقات وأذكاهما أبرءها، ويتبدى شكله المادي ويتمي روحه الوجدان، ويترتب احتكاكه بالعالم الخارجي واستجابته لتحدياته، استشارة المبادئ الخلقية الخمس الكائنة في طبيعته وهي، الشفقة، العدالة، الذوق، الحكمة، الإيمان الصحيح. وهنا ينطلق صوب الحركة والنشاط، ويميز الخير من الشر والإنسان الحصيف من ينمي هذه الصفات في ذاته في حين ينتهك حدتها الإنسان الخسيس.

التفسير :- لا شك ان صفة الأول الأعظم هي صفة كائن يسبق الوجود المنظور لانه خارج السماء والأرض، بل عن حركته يتولد الوجود كمتحرك وعن سكونه يتولد الوجود كساكن على ان الملاحظ هنا ان عملية التعاقب ليست سببية في الأساس أي ليس الأول يسبب الثاني كما هي الحال في مبدأ العلية المنطقية والوجودية، ومع هذا فان المؤلف الصيني يطلق عليهما معنى التسبيب، ولعله أراد التعاقب كما يظهر كسببية مجازية فقط وإلا فهو تعاقب والتعاقب لا يجعل الثاني منشأ الأول، أما كلمة تحول واتحاد فهو لوصف التفاعل بين العناصر النظرية التنظيمية بين اليانغ والين والذين هما (وعي فكري نظري) وليس (وجود مادي) فعن طريق اتحاد اليانغ والين كما يقول الكتاب تتولد عوامل مادية وجودية واقعية ملموسة وحينما تتوزع هذه الماديات توزيعا متناسقا تكون الفصول الأربعة. ويبدو ان العوامل الخمسة المذكورة. خشب. ماء. نار. معدن. تراب لها نظام واحد يلعب ألين واليانغ فيها ...

على ان موقع الإنسان هنا هو التميز بالوعي لاستلام هذه المعاني والماديات فيكون جسمه المادي وروحه المعنوية أو الوجدانية، ان استجابة الإنسان في احتكاكه بالعالم الخارجي يحصرها الكتاب بخمس أخلاق تظهر

في طبيعته كاستجابة واستشارة نتيجة الاحتكاك، ويفضل هذه الأخلاق الخمسة. الفقه. العدالة. الذوق. الحكمة. الإيمان الصحيح. يستطيع الإنسان ان يفرز الخير من الشر ويميز نفسه بكونه حصيفا نبيلًا أو خسيسا بناء عليهما.

٥- الإخلاص : الإخلاص جوهر الحكمة، عظيم هو مبدأ السماء، الباري، منه تستمد جميع الأشياء بداياتها، وهي منبع الإخلاص، ويتغير طريق مبدأ السماء ويتحول لكي يحصل كل شيء على فطرته السليمة، وينال قسمته ونصيبه، ومناط طريق السماء حركة ألين واليانغ المتعاقبة، وما ينبعث عن نهج السماء خير، والحكيم هو الإنسان المخلص.

التفسير :- يقول النص ان ما ينبعث من السماء هو خير وطريق هذا الخير أيضا يخضع لحركة ألين واليانغ وان مبدأ السماء وطريقه يتغير بمقتض طبيعة الأشياء المرسومة في فطرتها وقسمتها ونصيبها أما الإخلاص فهو معنى يوصف به سلوك الإنسان التي هي الحكمة العملية هنا. ان مبدأ السماء هو الذي يعطي للأشياء بداياتها، أما سلوكها اللاحق فتحكم فيه فطرتها. وكأئنا يريد النص ان يقول المرك الأول ها لكي تعود فتتبع قانون ألين واليانغ المتعاقبة.

: • • • • •

لو القينا نظرة تفسيرية على هذه النصوص ضمن إطار التراث الصيني كله فأنا سنجد ان المعاني تناسب بوضوح شديد يمكننا من التعامل مع هذه النصوص بشكل مرن ودقيق ولنبدأ بمعاني الكلمات.

التغير : ان التغير في الفكر الصيني اخذ من معنى سير الشمس والنجوم، عبور السحاب، تدفق المياه، تعاقب الليل والنهار ويقال ان كونفوشيوس كان يقف ذات يوم إلى جوار النهر جار فهتف قائلاً ((كل شيء يتدفق على الدوام ليل نهار كهذا النهر. فالتغير وفقا للمنطق الصيني مبدع جميع الموجودات وهو القوة الغريزية الطامية التي تجدد نفسها على الدوام ولا تتوقف أو تتعطل على الإطلاق، فلو فرض وتعطل التغير فلن يحدث موت لان الموت في الحقيقة مظهر للحياة ومدار ما يحدث وقتذاك أبطال الحياة بمعنى انحرافها، فالسكون ليس نقيض الحركة بل يعتبر السكون والحركة واجهتين للتفسير أما نقيض التغير فهو النكوص ويعبر عنه كتاب الآي جنك بقوله ((نمو ما يجب ان يضمحل وانهيار ما يجب ان يتسلط)) فليس التغير مجرد حركة لان نقيضا في المنطق الصيني حركة بالمثل، والتغير حركة طبيعية لا نهائية، هو تطور لا يطل تأثيره إطلاقا إلا ان

تحدى الطبيعة، ويتخذ التحول سبيله وفقا لسنة التغير ولا منجاة له من سطوة التغير، كما ان حركة التطور في المنطق الصيني لا تتجه اتجاها اماميا صاعدا بل تتجه اتجاها دائريا شبيها باللولب فهي تؤوب إلى نقطة بدايتها، أشبه بحركة الكواكب حول الشمس وتعاقب الفصول وكون الحركة تؤوب إلى نقطة بدايتها يحفظها من التشتت وهذا ما تتعرض له الحركة ذات البعد الواحد ولا يتم التغير بغتة، ولا تحدث عملياته عشوائيا بل تتبع مسالك راسخة، فالتغير يسير في مجراه المقرر الذي تتكشف فيه اتجاهات الأحداث فلن يتوقف طلوع الشمس بعد الفجر، والربيع يقدم بعد الشتاء ويتخذ التغير سبيله في الكبير والصغير من الأمور والأشياء ويتبدى في المظاهر الكونية مثلما يظهر في قلوب الناس على السواء. وينتهي كتاب أي جنك إلى اعتبار الإنسان مركز الأحداث، وان الإنسان مدرك للمسؤولية يقف ندا لقوى الكون السماوية والأرضية وهذا هو ما تعنيه فكرة المكان التأثير في التغير، ولن يتم هذا التأثير إلا بمسيرة تيار التغير لا بمقاومته، فالبذرة تنمو بفضل التغير ولكن في مكنة الإنسان التدخل في عملية التغير عن طريق توليه زراعة البذرة. وليس التغير شركا غدارا لا يدرك بالحواس، بل انه نظام عضوي يتوافق مع طبيعة الإنسان،

ولا تقتصر رسالة الإنسان على التحكم بمصيره والتأثير عليهما تأثيراً جوهرياً ولكن في نطاق محدود معين وعلى الإنسان الإلمام بمحدوده والتزامها وهذه هي رسالة الكتاب ان الأشياء بفطرتها في تغير مستمر، ويحمل التغير في الكون بين طياته الزيادة والنقصان والقدم والذهاب، الهدم والبناء ... الخ. فلا نهاية إطلاقاً لعملية التغير لان ما يأتي يجب ان يذهب وما يذهب يجب ان يأتي مرة أخرى.

الين واليانغ : استخدم الصينيون منذ عهد بعيد فكرة الين واليانغ لتوضيح ظواهر الوجود فالتاويه قد استخدمت الاصطلاحين لشرح مبادئها يقول لاوتزو مؤسسها : ان التاوا أي السبيل أو النهج قد انتج الواحد، والواحد انجب الثنائية وتطورت الثنائية إلى الثلاث وانبعث عن الثلاث الآلاف المؤلفه من الأشياء وتضم الأشياء جميعها بين طياته الين وتشتمل على اليانغ ويفضل الين واليانغ يتوافر للأشياء التناسق والانسجام، وتأسيساً على هذا الرأي يرتب كل شيء في الوجود تحت أي من الفصيلتين باعتبار الين أنثى واليانغ ذكر. ان ثنائية الين واليانغ لا تعني تلك الثنائية خارج الصين، كالخير والشر، الروح والمادة، لان هذه الثنائيات يفصل أحدها على الآخر أما في المنطق الصيني فان الين واليانغ

يكمل أحدهما الآخر ويفضل هذا التكامل يتوافر للكون انسجامه وتناسقه فالشتاء ينتسب إلى فصيلة ين يتحول إلى صيف من فصيلة يانغ. وجميع الأشياء أو ان إبداعها توضع في قائمة اليانغ في حين توضع الأشياء في أو ان استجابتها في قائمة ألين ويتيسر لكل شيء ان يكون يانغ وين ومع ان معنى كل منهما مختلف عن الآخر إلا انهما مترابطان ولاغنى (لأحدهما عن الآخر فالشمس تغرب فيطلع القمر ولكل وظيفته واحدة وهي إضاءة الأرض، وإذا وصل شيء حد التمام يكون قد بلغ بالضرورة مكانه السليم الذي يجدر ان يكون فيه أي يكون في بيئته المناسبة. وهناك رأي يتحدث عن طبيعة ألين واليانغ باعتبارهما حالة أثرية يقول (تونج شونج - شو) [يوجد ألين واليانغ في نطاق الكون في حالة أثرية، وينغمر جميع الناس فيهما على الدوام مثلما ينغمر السمك في الماء على الدوام، والفارق بينهما وبين الماء ان جيشان الماء منظور في حين ان فوران ألين واليانغ غير منظور على ان وجود الإنسان في الكون مثل ارتباط السمك بالماء، ويوجد هذا الأثر في كل مكان لكن ليست له لزوجة الماء، فالمقارنة بينه وبين الماء كالمقارنة بين الماء والطين وعلى ذلك يبدو ان في الكون عدمية ومع ذلك فثمة هيولى، ان الناس مغمورون على

الدوام في هذه الكتلة الدوامة التي تحملهم قدما في تيار واحد بانتظام أو بغير انتظام)) وهذا الوصف المادي للين واليانغ هو التقريب إلى الذهن ليس إلا، فهذا الفيلسوف يصفهم في موقع آخر على انهما (قوتان متعارضتان تتبعان سير السماء الراسخ ولكنهما لا ينشآن في وقت واحد)، وهذا يعني انه وقتما ينبعث اليانغ يتراجع ألين والعكس بالعكس. ويخلص فلاسفة الصين إلى نتيجة عملية مدارها انه إذا كان كل شيء في الحياة ينقلب إلى نقيضه، إذا ما وصل منتهاه، فعل الرجل العاقل ان يتخذ اهتبه للأحداث التي تغد مع التغير ويحتاط لصروف الزمان.

الإخلاص : قال كونفوشيوس: الإخلاص سبيل السماء، وحياسة الإخلاص سبيل الإنسان ويتيسر لمن يحرز الإخلاص تحقيق ما هو حق دون جهد وان يفهم من غير عناء فكري انه حكيم. والإدراك النابع من الإخلاص مصدره الطبيعة والإدراك النابع عن الإدراك مرجعه الثقيف، وحيث يوجد إخلاص يوجد أدراك وحيث يوجد أدراك يوجد إخلاص، ولا يقدر على تنمية طبيعته تنمية كاملة سوى من يتصف بالإخلاص المطلق. الإخلاص كامل بذاته والتوجيه الذاتي مناط السبيل إليه، الإخلاص بداية الأشياء ونهايتها وينعدم الوجود بانعدامه ولهذا السبب

يعتبر الإنسان الماجد الإخلاص اثن جميع المعارف المكتسبة وأعظمها قيمة ولا يقتصر الأمر على كون الإخلاص كمال الوجود الذاتي بل يتم بواسطته اكتمال جميع الخلائق. فان استكمل المرء وجوده الذاتي تسامي بشخصه واستطاع دفع بقية الناس إلى التسامي وهنا يبلغ مرتبة العلم، والتسامي والعلم هما الفضيلتان الكائتان في طبيعة الإنسان وبواسطتهما يتم اتحاد الظاهر والباطن ولذلك فجميع ما يحدث عن طريق الإخلاص مبدأ من الخطأ. ولا يظل فعل الإخلاص المطلق وهذا فهو خالد ويجعله خلوده في غير احتياج لبرهان مما يوسع مداه فيصبح عريضا عميقا ويؤهله عمقه وإتساعه ليصبح قويا حاذقا ويؤهله هذا للتسامي في فيطاول السماء في اتساعها وعمقها وحذقها.

الفطرة البشرية والطبيعة البشرية : يقول منشيوس ((الطبيعة البشرية تتبع الخير مثلما ينشد الماء المستوى الاوطأ)) ويقول ((للناس جميعا شعور أصيل بالعطف وانفعال بالحياء والاشمئزاز وتأثر بالمراعاة والامثال وحساسية تجاه الصواب والخطأ)) ويقول ((طبيعة الإنسان مزودة بمشاعر تدفعها صوب الخير ان هذه الفضائل لم تكبر في من الخارج أنها جزء من ذاتي الأصيلة. ان الصالح هو الفعل الذي يتطابق تماما مع

الطبيعة البشرية. وصلاح الفطرة البشرية يعني ما يتجانس مع الطبيعة البشرية ان ما وراء الطبيعة عند منشيدس هو حالة تتحد فيها جميع الأشياء وتكون جسما واحدا، وهنا يندمج الفرد في الكون بأسره وتنمحي جميع الفروق بين الذات وعدم الذات، بين الظاهر والباطن ذلك لان روح الكون وروح الفرد كانتا في الأصل شيئا واحدا بيد إنهما انفصلتا، ثم انبعثت من عملية الانفصال عوائق وحواجز، هي الرغبات الإنسانية فلو أمكن الفرد تخطي هذه العوائق فعساه ان يؤوب إلى الوحدةانية مع الطبيعة وهو ما يعبر عنه ((التخلص من الرغبات الإنسانية وانصباب قانون السماء دون عائق)) ان انفصالنا عن الكون يفني انتقاء الإخلاص منا

التاوي :

على الرغم من ان المدرسة التاوية نشأت بعد زمن على وجود الأي جنك إلا ان لها معاني تفسر كثيرا العقلية الصينية وكيفية تفكيرها بالأشياء ومصطلحاتها، وهي كالكونفوشيوسية في تصويرها للعقل والفكر الصيني مع اختلاف طبيعة المدرستين عن بعضهما. فالأول الأعظم الذي يسميه كونفوشيوس والذي هو مصدر كل شيء نراه عند

لاوتزو مؤسس الطاوية بأسر تاو، قالتاو عند لاوتزو هو مصدر الكائنات جميعا وهو الذي يؤسس جوانب الحياة بأسرها سواء كانت بشرية أم غير بشرية وهو الوحدة الأساسية التي لا تتجرا والتي تحل في نهاية المطاف جميع متناقضات الوجود ومفارقاته، وفي المجال البشري يصف لاوتزو الإنسان الكامل (ويطلق عليه الحكيم) بأنه على بصيرة بمبدأ التاو الخفي وأنه يتولى ترتيب حياته وتبويب أعماله وفقا لاحكامه وعلى من يرنو إلى أدراك مبدأ التاو ان يكسر شوكة نفسه ويلتزم الهدوء ويصطنع السلبية ويتحرر من الرغبة وينأى بنفسه عن الشحاء. ان مصطلح تاو من أهم المصطلحات الصينية وكانت تعني في الأصل - الطريق أو النهج أو السبيل - وكان اللفظ يحتوي في العصور السابقة لظهور لاوتزو والتاوية على مضمون يتعد شيئا ما عن المضمون المادي كالقول (سبيل الإنسان) أو طريقه أو نهجه ويقصد به الأخلاقية البشرية والسلوك والحق، اقتصر استخدامه آنذاك على الشؤون البشرية، ولعل لاوتزو أول من استخدم كلمة تاو استخداما ميتا فيزيقيا محصنا فهو الذي جاهر بان الكون انبعث وفقا لمبدأ شامل سبق وجوده يطلق عليه تاو فالاصطلاح عند لاوتزو يماثل اصطلاح (الكلمة) في الأديان السماوية. إذ لاوتزو يعرف التاو

بالشكل التالي ((ثمة شيء لا صورة له إلا انه كامل، قائم قبل ان توجد السموات والأرض، لا صوت له ولا جوهر، موجود لا يتغير، يتخلل كل شيء انه منشأ جميع ما في الكون، لا نعرف اسمه لكن نستخدم عليه بكلمة تاو وكنيته العظيم، يسلك التاو العظيم هذا الطريق أو ذاك، ويدين إليه بوجوده الآلاف المؤلفه، لا حصر لآثره، هو الرداء الذي يكسو ملايين الأشياء ويرقى بها ومعنى التاو هنا انه ذاتية موجودة قبل ظهور الكون - وهي حقيقة مطلقة لانزاع في شأنها عنده وتتألف من جوهر أصيل ويكفل هذه الأصالة وجود كون لانها هي أقامته هذه الحقيقة بنفسها وهي التي تتولى الحفاظ عليه وإذا كان تاو مصدر ملايين الأشياء فلا يمكن كما يقول لاوتزو ان يصبح شيئاً كبقية الأشياء، إذ يمكن ان يقال عن الأجسام أنها كائنة لكن التاو ليس مادة ومع ذلك فانه هو الذي بعث الكون المادي إلى الوجود ولهذا السبب يتحدث عن التاو بأنه كائن وغير كائن، فهو غير كائن ان أشير إلى جوهره الذي يخالف جوهر الأشياء جميعا وهو كائن ان أشير إلى فعله وبالتالي يرى لاوتزو ان الكائن واللا كائن قد تفجى عن التاو فهما بالتالي مظهران له ويستطرد قائلا : ابرز التاو الوجدانية، وأنتجت الوجدانية الثنائية، وينبعث الثالث عن الثنائية،

ويفتح الثالوث عن الحشود التي لا حصر لها من الأشياء، فالسما
والأرض وملايين الملايين من الأشياء، تنبعث عن الكائن، والكائن ناتج
عن اللا كائن لكن ليس اللا كائن هو الصفر أو العدم ويقول : لا يدرك
التاو باللمس، يمتنع عن القياس، ومع ذلك تكمن فيه نماذج الأشياء
وأصولها ويضم بين طياته الذاتية والوجود.. أي ان التاو ليس ماديا
ليقاس ومع هذا فليس هو لا كائن كالصفر. ويفسر لاوتزو حركة التاو
بأنه رجوع وتحول [عندما تصل عملية التقدم هذه اوجها، تحل مرحلة
التأخر فيقلب القوي ضعيفا، فإذا بلغت مرحلة التأخر أدنى حدودها
اخذت السبيل مرة أخرى لمرحلة من التقدم وبالأحرى، ثمة دورة لا
نهائية من التقدم والتأخر.

وأخيرا أضاف فإن ، لاوتزو يصفه التاو بأنه قوة عليا يقول : ثمة شيء لا
يعرف ولا يحدد ويتصف بالكمال قائم قبل السموات والأرض، فبأية
كيفية هو : ساكن وغير ذي صورة، راسخ بمفرده ويحيط بكل شيء علما،
ولا حظر عليه من الاستنفاد، هو اصل جميع الأشياء، ان التاو في مجال
الحياة البشرية يدعو إلى الانصياع لحركة الكون واطراد العمليات الكونية،
والسلبية تجاهها، لان حركة المظاهر الكونية في نظام بديع يبلغ ذروة

الكمال، فالفصول الأربعة تتبع نظاما واضحا دون حاجة لنقاش أو لجحاج وتسير جميع الظواهر الطبيعية المتعددة وفقا لمبادئ محكمة، والحكيم العظيم من يسعى لفهم أسرار الطبيعة ويعني باستقراء مكوناته - يتأمل الكون. أما الحياة فأنها عندما تقبل فلأن الوقت قد أذن بقدومها وعندما تروح فلتنتيجة طبيعية للأحداث، وان تقبل جميع الأشياء التي تحدث باطمئنان وتحمل التبعية الطبيعية للأحداث يكفل الصمود للأسس والألم على السواء وهنا يتحرر المرء من العبودية. وينتهي على حتمية تحول الشيء إلى نقيضه بعد بلوغه منتهى تقدمه أو تأخره حسب الأحوال سلامة مبدأ التزام السكون وانتهاج خطة اللا مبالاة تجاه عالم يفيض بالحركة المستديرة والتغير المستمر. ان هذا المبدأ يعني ان على المرء ان ينسجم مع نوااميس الكون الأساسية والحرص على الابتعاد عن التمرد عليها، وتقول التاوية : ان أولئك الذين يدركون أوضاع الحياة لا يسومون بإنجاز شيء تعجز الحياة عن إثباته، ومن يعلم تصاريف القدر لا يتطلع لما فوق متناول المعرفة وتقول : فيما يتصل بالخطأ والصواب أليس الصواب صوابا مطلقا كي لا يمكن اعتبار الخطأ خطأ مطلقا فلنعمل على تنسيق مظاهر الحياة داخل إطار الكون الشامل ولندعها تنطلق في سبيلها.

ان التطابقات بين صفات الطبيعة وأخلاق الإنسان مجدها في التاويه بوضوح شديد فهي تطالب الإنسان بان يتكلم اقل ما يمكن لان هذا أسلوب الطبيعة، فالسمااء والأرض تعجزان عن استدامة العاصفة أو الإعصار وان أولئك الذين يعلمون لا يتكلمون والذين يتكلمون لا يعلمون.

أما علاقة التاويه بالأي جنك فيمكن تلخيص من قول لاوتزو [ان من أدرك معنى التغير لم يعد يركز انتباهه على الأشياء الفردية المؤقتة بل عن القانون الأبدي الثابت الذي يعمل في كل تغير وهذا القانون هو التاوا انه سكة الأشياء واصل الواحد في الكثرة]، ان أدراك معنى التغير هو الوسيلة إلى الغاية التي هي التحكم الكلي في التغير لكن التحكم الكلي يتم عن طريق التحكم بالأصل والأروقة لا بالفرع والجزء. لذا فان أدراك معنى التغير ينزع إلى عبور الأشياء الفردية المؤقتة والسعي للوصول إلى هذا القانون الأبدي الثابت الذي يعمل في كل تغير، ان امتلاك نوع من العملية في هذا القانون يؤدي إلى امتلاك نوع من الفاعلية محل كل الأشياء ولا يتم ذلك إلا بمعرفة (اصل الأساسي أو البداية لكل الأشياء).



لاشك ان العقلية الغربية هي ما ابعد ما يكون عن نظام الفهم الحدسي اللاعلمي للكون بسبب من انها ترفض التسليم بأي نظرية او قانون لا يخضع للتجربة والمختبر ولا يتعامل مع الأحصاء والحسابات الكمبيوترية الدقيقة، ولعل اول اشارة للتعامل مع كتاب الأي جنك تعود الى الفيلسوف الالماني لينتزر ١٦٤٦ - ١٧١٦ حيث يشير كولن ولسن الى انه من اوائل الغربيين الذين اعترفوا بوجود منطق داخلي متماسك لهذا الكتاب وانه هو نفسه حاول ان يحقق حلمأ غريباً وهو ان يخلق (حساباً كونياً) يمكن من خلاله التعبير عن كل حقائق الفلسفة والرياضيات، حيث لاحظ لينتزر ان الطريقة التي شيدت بها الاشكال السداسية للاي جنك تشكل في النهاية نسقاً رياضياً ثنائياً او مزدوجاً، اي انه نسق لا يستخدم إلا الرقمين واحد واثنين بدلاً من أن يستخدم الارقام من واحد الى عشرة ثم يكررها، والنسق الثاني هو اساس الالات الحاسبة الحديثة والعقول الالكترونية، ويعتقد كولن ولسن ان لينتزر كان مخطئاً حينما اعتقد ان الملك ون اواخر المعلقين على كتابه وهو (شاو يونج) كان يعرف شيئاً عن النسق الرياضي الثنائي وان غريزته كانت على صواب دقيق حينما رأى ان كتاب (اي جنك) هو ابن عم بعيد لنظامه

الحسابي الكوني الشامل. بل ان كولن ولسن يعتقد ان الأي جنك يلتقي مع النزعة العلمية أكثر من لقاء نظام لينتز في الحساب الكوني الشامل معها ويقول^(١١) ان لينتز هو من كان متعارضاً مع النزعة العلمية، ففكرته عن رمزية رياضية تستطيع ان تعبر عن (حقيقة) ليست سوى نوع من السخف، فحتى اللغة العادية - وهي الأكثر مرونة بكثير - تتحطم على صخور التصورات البسيطة التي تتضمن الشاعر، اما كتاب (اي جنك) فهو شبكة نسجت من خيوط أكثر رقة ورهافة ولاشك اننا لو راجعنا فلسفة لينتز الذي سبق نيوتن في حساب التفاضل والتكامل والذي حاول ان يبني منطقاً رياضياً يجمع فيه منطق ارسطو وافكار المادية الميكانيكية والذي حاول ان يبحث عن نظام مبني على فكرة المونادات الحية أو الروحية وارجاع كل الموجودات اليه وصولاً الى ان يقيم الكون على تناغم مناسب رياضي، لو راجعنا هذه الفلسفة لوجدنا ان محاولة لينتز وجدت لها مصداقية هذا اليوم في مفردات الفيزياء النووية ونظريات السايكو فيزياء اضافة الى الوعي الكوني أو العقل الكوني الذي

(١١) الإنسان وقواه الخفية، ص ٨٢.

يسود الأشياء والعقل بوقت واحد ووحدة الكون وهو ما سنبحثه بفصل لاحق.

أما ستان كوش الباراسيكولوجي المعروف يعقد مقارنة بين اوراق التاروت او اوراق اللعب وبين الأي جنك ويصل الى الاستفهام الكبير عن الشفرة المتكاملة لكل منها ويقول^(١٣) (الامر الذي اشك فيه هو هل ان لقارئ اوراق اللعب قدرات خارقة يفرضها على الأوراق او ان الاوراق هي محد ذاتها لها قدرات خارقة مثلما لكتاب (اي جنك) من قدرات،، واذا كان الأمر كذلك فأننا نفتقر لوجود شفرة كاملة، لذا يجب علينا ان نفسر اوراق اللعب مثلما يفسر لنا اي جنك رموزه) اي ان ستان كوش يعتقد ان مصداقية الأي جنك في نظامه الداخلي وليس في نفس الانسان الخارق فهو مسألة موضوعية وليست مسألة ذاتية تخضع لقدرة المتعامل مع الأي جنك او اوراق التاروت اما كولن ولسن فيعقد مقارنة ايضاً بين اوراق اللعب والأي جنك على ضوء علاقة الوعي باللاوعي - التي سنبحثها في مكان آخر - فيقول^(١٤) (هناك جانب واحد قد تبدو فيه اوراق التاروت في مستوى ادنى من مستوى كتاب الأي

(١٣) التزامنية ٣٤ انشرة الباراسايكولوجي، ص ٤٠، ٣٦.

(١٤) الانسان وقواه الخفية الانسان وقواه الخفية، ١٢٩.

جنك، فقد اوضحت من قبل انه رغم ان كتاب اي جنك هو كتاب لكشف عن الغيب وقراءة الطالع في المستقبل، فإنه يحاول ايضاً ان يرفع العقل الى مستوى اعلى من مستوى طرح الاسئلة عما هو مقدر له، اي انه يحاول ان يجعل العقل نشيطاً مسيطراً على ذاته بدلاً من ان يظل مهموماً في سلبية بما يجنبه له المستقبل وهذا هو ما يبرز الخلاف الاساسي بين طريقة كل من التاروث وكتاب (اي جنك).

ان الشرق - بشكل طبيعي - اكثر تجرداً واكثر فلسفية من الغرب - والعقل الشرقي يفكر بشكل طبيعي - على اساس التعرض للروح والطبيعة والسماء والارض والنار والماء، انه عقل يحدق في المسافات البعيدة، اما العقل الغربي فيعيش في عالم اكثر تجسيدا وتشخيصا مع وجود (مخلص) يعمل كوسيط قائم بين نفسه وبين السماء - ان رموز التاروث اكثر تعقيداً واكثر عنفاً من رموز (اي جنك) وعند الوهلة الاولى تبدو (التاروث) اكثر انشغالاً بالتنبؤ بالكارثة اكثر مما يفعل كتاب (اي جنك) الذي يبدى اهتماماً اكبر بتعليم (الانسان الاسمي) كيف يكون سيداً لمصيره.

ان كولن ولسن يعتقد ان العقلية الغربية هي التي اوجدت اوراق التاروث وتنسجم معها في حين ان (اي جنك) يعكس العقلية الشرقية فهو يعتبر ان اوراق التاروث هي المقابل الغربي لكتاب اي جنك، لأنهما يتعاملان بواسطة الرموز المتقابلة.

ولو اردنا ان نبطل هذا الرأي السريع وغير الدقيق لاكتفينا بايراد ما يقوله المؤلف او المترجم كلاي وولتهام في مقدمة ترجمته لكتاب اي جنك - حيث نرى ان الأي جنك ليس كتاب تنبؤ عادي وانما كتاب اخلاقيات وسلوكيات وصفات للرجل السامي، يقول كلاي ^(١٥) [سواء استخدمنا هذا الكتاب للتكهن او لدراسة المبادئ التي يتضمنها، وسمحنا لأنفسنا أن ننضبط حسب تعليماته فعند ذلك سوف نُغني محتوى حياتنا ونحرّر أنفسنا من القلق ونصبح عديمي الأذى أو حتى متعاونين بشكل ذكي مع الآخرين وأنيسين لأنفسنا، إنه مصدر للأنسجام الداخلي ومشاركة القوى العظيمة التي يكون تفاعلها جميع العوالم المرئية وغير المرئية باستثناء - ال تاي جي - او المطلق نفسه، الكتاب يضع امامنا مثلاً رائعاً لل شونتزو او الانسان الكامل وهو الانسان الذي يمتلك سيطرة

(١٥) اي جنك، ص ٢-٣.

كاملة على نفسه والمعتمد كلياً على ذاته والمتحرر كلياً من البحث عن النفس والقادر على الوقوف بحزم وثبات وسط القوى التي تتقاذف بالرجال الأدنى منه مثل رفاص الساعة رغم دموعهم وصراخهم وهو لا يتأثر بالخسارة أو الربح وردة فعله فعالة عندما تعود الحاجة الى ذلك ويؤدي طوعاً المهمة الاصبعب في الامتناع عن فعل شيء عندما تكون الأمور افضل اذا ما تركت لشأنها، وهو يصلح ما يمكن اصلاحه ويعرف ايضاً كيف يقف جانباً بدون ان يضيع جهوده في الامور المستحيلة، وهو في وضع جيد للتمتع بالطعام والشراب والنوم والسفر... الخ وعليه فهو قادر على مجابهة الضغوط والالم والخوف والمرض بدون تدمر أو تأفف وفي داخله نجد ان العاطفة والصبر وقبول الأمور بصبر جميعاً متحدة. وينقل كلاي نص ما كتبه احد اصدقائه الصينيون وهو ينصحه بان الكتاب ليس للتسلية أو الاسترخاف شارحاً له طريقة عمله حيث جاء ما يلي^(١٦) [ان اجابات كتاب الأي جنك - احياناً ذات اهمية بالغة تستطيع ان تنقذنا من اضاءة حياتنا مدى وحتى من الموت المبكر احياناً، ويجب ان يعامل الكتاب بمستوى عمره الطويل وبمستوى كنز الحكمة

(١٦) نفس النص، ص ٩.

الموجود فيه وليس هناك رجل حي يستحق هذا التقدير لأنه عبارة عن مرآة تكهنية تعكس عمليات تغيير كونية واسعة وغير متتهية وتلك السلاسل غير المنتهية من الافعال والتفاعلات التي تعرض وتقسم الاعداد التي لا تحصر من الامور والاشياء التي تخرج من او تنساب الى التاجي - الواقع الساكن خلف عوالم الشكل والرغبات - وانعدام الشكل وله معرفة البوذا الواسعة ويتحدث الى العالم الانتقالي وكأنه من رحم التغيير نفسه - التغيير - وهو العامل المستمر الوحيد في وسط التبديلات والتحويلات غير القابلة للعد للأمور الذهنية المعنوية والمادية والتي تبدو لنا عندما تغلق عين الحكمة كدفق عديم المعنى وكون اعدادها غير المحدودة يمكن ان تنعكس في هذا النطاق الصغير، فسبب ذلك هو كونها جميعها تتقدم وفق قوانين صلبة وجميعها وجوه لتلك النقاوة التامة والهدوء التي يسميها البعض (تاي جي) او تاو اويهوراتا رحم البوذية ومصدر الجميع.

لقد عبر كلاي عن هذه المفاهيم الصينية بالمنطق الصيني القديم فإشار الى ان كل مايرى بالحواس هو عرضة للتغيير في الحركة اذ أن الغير متغير الذي يسميه المسيحيون رأس الرب او الرب غير المدرك حياً باستثناء مع الذين يجربون حالة التوحد مع الرب الاستنادة العليا التشرب

بالتاؤ. وعمل كتاب التغير - الأي جنك - تفسير وترجمة الحلقات المتداخلة المختلفة للتغير والتي يمكن استنتاج تطور التحولات الفردية من حيث يتلقى السائل سندا صلباً يساعده في ان لا ينحرف في التيار كورقة شجر وسط مياه غاضبة، ورغم أننا لانستطيع ان نرفع يدنا ونستخدم كلمات معينة توقف الرياح والامواج إلا اننا نستطيع ان نتعلم كيفية الأبحار في التيارات الخطرة وذلك بأن نظبط انفسنا مسلكياً بشكل متناغم مع تطور التحول القائم - وعليه نستطيع ان نجتاز العواصف المتكررة بنجاح في هذه الحياة وفي جميع الحيوانات القادمة الى مجيء ذلك الوقت البعيد والذي بعد ان نصل الى قلب التغير ندخل السكون الثابت المستمر والذي هو رحم تاج الوجود. وهكذا نرى ان هذا الكتاب ليس كتاب استخارة فحسب ولا هو كتاب اخلاقيات فحسب ولا هو كتاب قوانين الوجود فحسب - بل هو اضافة الى كل هذا كتاب الانسجام والتناغم الحياتي للانسان مع الطبيعة وقوانينها وعجرياتها وتوظيف هذه المعرفة بهذه القوانين لخدمة حياة الانسان نفسه عبر التأثير المناسب والمتاح والممكن فيها وصولاً الى السعادة الحقة والاخلاق الحقة والسلوك السليم، فأي كتاب من كتب التنبؤ الاخرى تعطينا هذه الخيارات؟.

على اننا قبل أن نغادر اراء المؤلف والمترجم كلاي يجب أن نشير إلى مفردتين خاصتين به ذكرهما في مقدمة كتابه، الاولى هو رأيه في طريقة فهم كونفوشيوس للكتاب وهو يدرك خطورة ما يقول حيث يذكر^(١٦) [والان ساطرح فكرة قد يجدها بعض اساتذتي واصدقائي من الصينيين مروعة وناجحة عن جهل وعدم دراية، ففي رأي أن كونفوشيوس لم يفهم كلياً كتاب التغير - الأي جنك - ولكن إذا اخذنا بنظر الاعتبار أن النسخة الحالية من هذا الكتاب يعود نصف حجمها إليه أو لحواريه المقربين وبأنه يعتبر حكيماً ذا منزلة رفيعة جداً فإن مثل هذا الشك يعتبر كفراً بشكل من الاشكال ومع ذلك ارى كونفوشيوس كرجل يقف بين نوعين مختلفين من البشر - اناس في تلك الايام من اتباع - زن - أو تاويين أو صوفيين أو كهنة مسيحين، هؤلاء الفضيلة بالنسبة لهم اكبر من القبول بقوانين مفيدة تخص المسلك ولكنها عندهم تكييف كامل مع ما يمليه المكنن الداخلي لكيان اعلى من النفس.

والنوع الثاني من الناس يشبهون الناس الاعتياديين من مسيحين وشيوعيين وغيرهم من اصحاب السلطة والذين يمتلكون نظرة اخلاقية

(١٦) نفس المصدر، ص ٢٢.

صارمة تقضي الى ان بعض الامور جيدة وحسنة والبعض الاخر شرير وسيء ومن ذلك ينتج أننا عوضنا عن السماح لمكوننا الداخلي ان يقودنا، يجب ان نلتصق بمجموعة قوانين موضوعة من قبل الرب او من قبل رجال اكثر حكمة منا بدون الاخذ بنظر الاعتبار الظروف حولنا ومتطلباتها واذا كنت محقاً في تصنيفي هذا لكونفوشيوس - وانا اسند رأيي الى ماقرأته من اعمال كونفوشيوس فربما ان التعليق على النص ليس عميقاً بما فيه الكفاية لينصف النص نفسه، وفي هذه الحالة فأن كلمه (ته) يجب ان يفهم معناها بشكل اعمق من الفضيلة الاخلاقية والرجل الافضل او الاكحل - وهو المثال الذي نحن جميعاً مدعوون الى التشبه به - يجب ان نعجب به ليس من اجل قيمته الاخلاقية المتزمته وشعوره العميق بالمسؤولية فحسب ولكن ايضاً ما يمكن ان نسميه بتوافق - زن - مع الدوافع الداخلية التي تبرز عندما تغنى العواطف والفكر يسكن، وانا لا اقترح هنا ان نهمل تعليق كونفوشيوس في تفسيرنا لأجوبة كتاب التغير ولكني اقول انه ربما من الاكثر حكمة ان نعطي وزناً اكبر للنص من التعليق، ويجب ان نحذر من اعتبار النص حاوياً على خصال تاوية او كونفوشيوس منفصلة فهذا الكتاب مؤلف من قبل رجال يملكون نظرة

حقيقية الى عمل القوانين الكونية والذين كانوا في غاية القرب من الامساك بوجه الحقيقة.

اما الراي الثاني الذي يتحدث عنه كلاي فهو في تعليقه على تفسير يونغ للكتاب وعدم فهمه لهذا التعليق حيث يقول (عالم النفس الشهير يونغ تحدى سخرية زملائه العلماء بكتاب التغير وذلك عبراعلانه لأيمانه بتكهنات اي جنك، وقد ذهب أبعد من ذلك في محاولة لان يبين صحتها، ونقاشه على حد ما فهمته هو ان كل ما يحدث في دقيقة معينة مرتبط بحالة الكون كله انذاك، وعليه حتى لو تمّ استخدام اسلوب رمي القطعة النقدية بغية تقرير أحد امرين، فليس هناك شك حول النتيجة اذ ان كيفية سقوط القطعة النقدية سوف يكون محكوماً من قبل الحالة السائدة، وفي هذا المضمار ايضاً نجده يستخدم جملة (اكتشاف اللاوعي) ويبدو انه يعتقد ان اسلوب عمل كتاب التغير هو سحب ما هو موجود في اللاوعي الى سطح اذهاننا، كل ما هو ضروري لفهم صحيح للمشكلة الموجودة حلوها.

ويجب ان اعترف بانه بالرغم من اعجابي بعالم النفس يونغ لا استطيع ان اقبل هذا التفسير، وبما لاني لا افهمه حقيقة وما يبدو لي غير

مقنع في عملية استشارة قطعة نقدية هو انه في حين ان كل شيء يقع في لحظة معينة مرتبط في لحظة معينة مرتبط وبشكل وثيق بحالة الكون السائدة، الا ان كتاب التغير يعطي اجوبة متساوية مختلفة على جميع الاسئلة بغض النظر عن زمن طرح السؤال، وعليه اذا سألت مثلاً كيف ستكون نيجيريا في الاعوام ١٩٧٠-١٩٨٠ فان جواب تكهني صحيح لن يتم اذا ما طرحنا السؤال في الساعة العاشرة صباحاً من يوم ١٩٦٣/١٢/٢٤ او الساعة السابعة مساءً من يوم ١٩٦٤/١/١٧ واذا كان البروفسور يونغ لا يزال على قيد الحياة، وربما كان باستطاعته ان يساعدي في هذه النقطة، وكما هو الحال لن نعرف ابداً وعلى اية حال : ان المدهش هو ان رجلاً عظيماً مؤمناً بالاسلوب العلمي في البحث والتقصي اعترف بصراحة واعلن عن اعتقاده بقوى مثل هذا الكتاب التكهنية وشجاعته العلمية تم الكشف عنها باستعداده لتشويه سمعته بين زملائه العلماء عوضاً عن كبت ما بدا له انه الحقيقة ولحن سنفرض لرأي يونغ بالتفصيل.

يونغ وتزامنية الأي جنك :-

لا شك ان مصداقية الأي جنك تعتمد على احداثية عجائية اولى
تثير الاستغراب الشديد وتطرح امام كل الشكوكيين اسئلة عليهم الاجابة
عنها ضمن المعطيات العلمية او العقلية التي يؤمنون بها ولا يؤمنون
بالأي جنك، هذه الاحداثية هي في كيفية تحديد الأي جنك لاجابته على
موضوع معين يسأل عنه من اي مستشيراً او مستخيراً؟ فكيف يتم أن
يكون القاء النقود ومثلاً - والتي هي عملية عشوائية في المنظور العلمي أو
تحكمها فوانين الصدفة الاحتمالية - يأتي محددًا للشكل السداسي
المناسب لموضوع السؤال؟.

فان كان السؤال عن الحالة الزوجية او العائلية تحدت ارقام
النقود باللقاء العشوائي بحيث يكون الشكل السداسي له علاقة واحياناً
علاقة مباشرة جداً بموضوع الزواج والعائلة وما يتعلق بها اما ان كان
السؤال عن قضية عسكرية او حربية فتقع النقود العشوائية لتحدد الشكل
السداسي المتعلق بالقضايا العسكرية او الحربية؟، ان هذه الاحتمالية
للصدفة تصبح خرافية وبعيدة جداً اذا ما عاملناها على النسب
المئوية لمصداقيتها، كيف يمكن ان تحدد النقود الثلاثة باوجهها المختلفة
احتمالاً واحداً لا غير من بين الاحتمالات المفتوحة؟ ولما كان الموضوع

يتعلق بمعاني انسانية حية ومشكلات واقعية مختلفة اختلافاً بيناً كبيراً
فكيف تستطيع النقود الجامدة الصامته ان تحدد اجابات تتناسب وهذه
المسائل الحية والمشكلات الواقعية المختلفة؟

لقد تحدث يونغ هذا المعنى عن وحدة الكون وسياقاته وترتيبه في
لحظة معينة وقال ان الكون يكون في تلك اللحظة التي نلقي فيها النقود
منظماً بشكل يجعل النقود العمياء تتكلم بفصاحة الإنسان فتأتي النقود
وكانها حركة كونية نظامية أو متسلسلة بشكل ما مع وقت طرح السؤال
ومضمونه؟ فاذا ما ربطنا مفردة اللاشعور الجمعي الذي هو نظام المعرفة
المطلقة الموجودة لدى كل الكائنات مهما كانت درجاتها التطورية وسواء
كانت مادية أو حية فان الكون أو لاشعور الكون يتحدث الى سؤال
الإنسان عبر لا شعوره والمستشار من قبل هذه العملية - لقاء النقود.

ان اهم مفردة نصل اليها ولحن في خط البداية انه ليس ثمة تفسيراً
سببياً علمياً يمكن من خلاله فهم عملية لقاء النقود واشكال الأي جنك
السداسية، فليس هناك سببا و نتيجة باي مفهوم علمي سواء كان تجريبياً
او عقلياً فاذا ثبت فعلاً - وهو ثابت - ان هناك اقتران بين السؤال
والجواب وعملية لقاء النقود والاشكال السداسية فان هذا يعني ان هذه

الاحداثيات تزامنية اي خارج اطار السببية وكأنما هناك قانونان يحكمان العالم كما يقول شوبنهور، قانون السببية العلمية وقانون غير موضوعي وغير سببي يقول شوبنهور^(١٨) بأن الكون يحكمه قانونان الاول هو السببية المادية اما الحاكم الثاني فهو وجود ميتافيزيقي نظام غيبي او وعي كوني لذلك فكل الحوادث في حياة الانسان لابد ان تقع في احد نوعين من الاتصال، اما اتصال سببي طبيعي او اتصال ذاتي يتعلق بالشخص الذي حدث له الحادث ويقول ايضاً^(١٩) المصادفة هي الظهور المتزامن لاحداث غير مرتبطة سببياً... اذا حاولنا تصوير كل سلسلة سببية تتقدم في الزمن كخط الزوال على الكرة الارضية فان بإمكاننا ان نمثل الاحداث المتزامنة بخطوط العرض الدائرية، استناداً الى ذلك فان كل الاحداث في حياة الانسان ربما تنحدر من نوعين رئيسيين من الارتباطات اولهما الارتباط السببي والموضوعي للعملية الطبيعية وثانيهما الارتباط غير الموضوعي الذي لا يوجد إلا بالعلاقة مع الفرد الذي يجرب هذا النوع من الارتباط الذي يتسم باللاموضوعية كما هو الحال مع احلامه التي يكون

(١٨) الحنسة السانسة، ص ١٦٤.

(١٩) جنور المصادفة، ص ٨٦ - ٨٧.

من الضروري تقرير محتواها مثلما تقرر حبكة الشاعر المشاهد في المسرحية.

ان هذين النوعين من الارتباطات يوجدان في وقت واحد وان الحدث الشبيه بنفسه على رغم كونه صلة وصل بين سلسلتين مختلفتين تماماً، ينطبق مكاناً على كليهما بحيث يتلاءم مصير أحد الشخصين وعلى نحو الثابت مع مصير الآخرين ويبقى كل منهما بطل الدراما الخاصة به، بينما يظهر في الوقت ذاته دراما أخرى غريبة عنه... ولعل هذا التصور التزامني للأحداث هو الذي قاد برود للقول^(٢٠) كل شخص بإمكانه في كل لحظة تذكر كل ما سبق وجرى له وادراك ما هو جار في الكون في تلك اللحظة. ان وظيفة الدماغ والجهاز العصبي هي حمايتنا من الارتباك والغرق في بحر المعلومات التي لافائدة لنا منها بأقامة حاجز دون ما كان لابد لنا لولاه من ادراكه وتذكره في أي لحظة، والسماح فقط للكمية المختارة التي قد تكون مفيدة لنا علمياً .

فكيف تحدث يونغ عن التزامنية باعتبارها نظرية لاسببية تفسر نظام العلاقات المتداخلة بين اللاشعور الكوني واللاشعور الجماعي

(٢٠) جنور المصادفة، ص ٨٦ - ٨٧.

ولاشعور الانسان الفرد الذي يعطينا الاجابات المناسبة عن الاسئلة التي يطرحها السائل على الأي جنك فيتحرك بهذه التزامنية اللاسيبية للوصول الى هذا الاقتران في المعنى بين القاء النقود العشوائي -باسم العلم - وبين الشكل السداسي المناسب له؟ لقد بدأ يونغ في بحثه عن اصل التزامنية عبر عمل احصائي اولى حيث اراد ان يجد هل هناك ترابطات مثلاً بين حركة التبخير وحياة الاشخاص، فمما يذكره ريجارد كيفنديش^(٢١) في موسوعة الظواهر المبهمة التي نشرت تحت اشراف (جي بي راين) عام ١٩٧٤ عما سماه الترتيب الزمني للاحداث والتي تعني فكرتها انها تستخدم لربط سلسلة من الاحداث التي تبدو مترابطة ولكن ليس هناك دليل كافٍ بشأنها ليتسنى وضعها في علاقة السبب والنتيجة ويذكر ان يونغ نشر عرضه الخاص للترتيب الزمني للاحداث في سنة ١٩٥٢ حيث ارتكز في حجته على مادة مشتقة من علم التبخير، حيث استخدم رزمة مكونة من ١٨٠ من خرائط البروج السماوية وهي عبارة عن رسوم كان المنجمون يستخدمونها لكشف الطالع وكانت هذه الخرائط تعود الى ١٨٠ زوجاً، وكانت قد جمعت قبل ذلك ببضع سنوات

(٢١) الحنة السابعة، ص ١٦٥.

لاغراض تنجيمية، ومن دراسته خرائط البروج كان يونغ مقتنعاً انه كانت هناك روابط محددة بين العلاقات المتبادلة التنجيمية التقليدية وبين حياة الاشخاص الذي كان يدرس ارتكاساتهم واستجاباتهم أما ستان كوش في كتابه عن (اللاعتيادي) فهو يتحدث فيه عن المصادفة والتزامن عند يونغ فيقول^(٢٢) بان يونغ يعتبر فكرة المصادفة ذات المعنى تطبق على الخوارق والباراسيكولوجية وترتفع الى مكانة النظرية العامة للخوارق، ويشرح فكرة يونغ بقوله بان يونغ يعتقد باننا في حاجة الى ثلاثة مستويات للتفسير من اجل جمع الاحداث، اولاً لدينا مصادفات ذات معنى وهي تأتي من ضربات الحظ على سبيل المثال قد يحضر شخص او اثنان او اكثر بالصدفة وكلهم يشتركون بأسم واحد اما اذا حدث العكس فهذا يعني وجود قوة طبيعية دون التقاء الاشخاص الذين يحملون اسماً واحداً في طريق واحد ولما كانت هذه القوة غير موجودة لنا يحدث مصادفة ان يلتقوا.

اما التفسير الاخر فهو التفسير السببي العلمي المعروف بعلاقة السبب والنتيجة ومبدأ السببية هو الذي يدعم سلسلة الاحداث اللانهائية

(٢٢) موسوعة الظاهر، نشرة الباراسايكولوجي، ص ١٨ - ٧.

وانسياب الاحداث التي في النتيجة تشكل العالم المرئي فسحب مقبض
البندقية هو الذي يؤدي الى اطلاق النار فيموت الرجل كنتيجة لذلك، أما
الطبقة الثالثة من الاحداث فهي ليست كلياً مصادفة ولا كونها مرتبطة
بمبدأ السببية وهي : ارتباط احداث يمكن ان تكون في ظروف معينة غير
سببية وتحتاج الى مبدأ آخر لتفسيرها.

ويذكر ستان كوش انه هو وارثر كوستلر وافقوا على فكرة هذه
المبادئ التفسيرية الثلاثة علماً ان العلم التجريبي لا يعترف الا بالمصادفة او
السببية فقط. ان الكلمة الاعتيادية للترامن عندما تطبق على حدثين يقعان
في زمن واحد. وعلى الرغم من بعض الملاحظات السلبية التي ياخذها
ستان كوش على تزامنية يونغ وخاصة في محاولته ارجاع المعاني الناتجة
عن التزامنيات الى اللقاءات العقل الانساني بناء على نظرية علم نفس
الجشئات والتي تقول بان المعاني هي توجه قصدي للفكر باتجاه معنى ما،
الا انه حينما يصل الى كتاب الأي جنك واحداثيات التزامنية او
الجشطلية نراه يقف عاجزاً عن اصدار حكم نهائي بصده خاصة وانه
قد جربه كما يذكر فحصل على نتائج مذهلة يقول كوش [يجب ان اذكر
انني لا ازال متردداً في وضع افتراح نهائي لشيء واحد معين وهو وجود

الكتاب الصيني (اي جنك) كتاب التغير ويبدو ان مؤلف الكتاب المشهور قد نجح بشكل مافي تعريف الجشطلية وبشكل خاص موضوع الكون كلي الاحداث ويبدو على السواء، ان هذه الجشطلات تمتد الى ما ندعيه بالمستقبل، ولاني ولمدة سنين طويلة استخدمت كتاب اي جنك لمعرفة المستقبل وحصلت على نتائج مذهلة في الدقة.

اما امر ارثر كوستلر فهو ايضاً له وجهة نظر فيما كتبه يونغ عن التزامنية يشبه رأي ستان كوش وهو يقارن بين تزامنية يونغ وتسلسل كامرر الذي درس عدة سنوات المصادقات واوجد لها افتراض يقول بان لها سياقات متسلسل تنظيمية معينة خارج السببية، وهو يرى ان المصادقات تميل الى الحدوث على شكل مسلسل فللمقامرين مثلاً ايام محظوظة او بالعكس وقد عرف كامرر في كتابه قانون السلسلة هذه السلسلة بقوله [إنها تكرار قانوني لنفس الأشياء او الأحداث أو ما يشابهها اي تكرار او جميع الاشياء او الاحداث في زمن او فضاء لا ترتبط فيها الاعضاء المنفردة هي تسلسل بنفس السبب الفاعل وهو يعتقد ان المصادقات عند حدوثها منفردة او على شكل مسلسل عبارة عن مظاهر للمبدأ الكوني في الطبيعة الذي يعمل بشكل مستقل عن السببية

الفيزياوية وهو يرى أن قوانين التسلسل تضاهي في أهميتها القوانين الفيزياوية على رغم أنها لا تزال مجهولة اصف الى ذلك إن المصادفات الانفرادية اشبه ما تكون بقبب جليدية تجذب اليها الأنظار لأننا نميل ضمن اساليبنا التقليدية الى تجاهل مظاهر التسلسل كلية الوجود اي أنها موجودة في كل مكان وفي جميع الأوقات. إن تسلسل كامرر جمع كل الامكانات للمصادفة فقد أجرى دراسات لتزامنات غير سببية تتعلق بالارقام والأسماء والالوضاع وغيرها، ومن هنا توصل الى أن تكرار البيانات المماثلة او المتطابقة ضمن مناطق محدودة للمكان او الزمان حقيقة تجريبية لا بد من الاعتراف بها وأن من غير الممكن تفسيرها بالمصادفة او بالاحرى بالشئ الذي يعطي للمصادفة هذا النفوذ الى الحد الذي تضمحل فيه فكرة المصادفة ذاتها ويخلص كامرر الى أن هناك مبدأ لا سببياً فعلاً في الكون يتعايش مع المبدأ السببي ويميل للاتحاد به ويخلص أيضاً الى أن التسلسل حاضر الوجود في كل مكان مستمر في الحياة والطبيعة والكون كما آمن بأنه بمثابة الحبل السري الذي يربط الأفكار والاحاسيس والعلوم والفنون برحم الكون الذي يتفخ فيه الحياة.

لقد وصف انشتاين كتاب كامرر بقوله أنه اصيل وليس فيه ما
ينافي العقل على الإطلاق.

ولا شك ان كتاب الأي جنك يقوم أساسا كما رأينا على فكرة
التعاقب كفكرة مطلقة تحكم كل حيثيات وتغيرات وحركات الكون من
السما إلى الأرض وإلى الجزئيات الصغيرة وحتى الحياة النفسية للإنسان
وبهذا تكون تسلسلية قد شرحت وفُسرَت بالارقام والاحصاء والبيانات
الواقعية والميدانية ما تحدث عنه الأي جنك قبل خمسة آلاف سنة.

إن مبدأ السببية الذي يحكم الكون منذ نيوتن وحتى أنشتاين بدا
يفقد سيطرته لا على المستوى الإحصائي فقط بل عبر الفيزياء نفسها التي
أعطته هذه القوة للحكم منذ ذلك الحين والذي يطلع على فيزياء
الجسيمات الدقيقة يجد مصداقية هذا القول الحدسي أصبح معترفا به
فمبدأ الاستبعاد لباولي يوصف بأنه عامل لا هو سببي ولا هو فيزيائي
ومع ذلك فهو يعمل في الطبيعة.

إن يونغ يعرف التزامن بأنه الظهور المتزامن لحدثين كاملين من
حيث المعنى لكنهما لا يرتبطان سببيا أو مصادفة زمنية لحدثين أو أكثر
يحملان نفس المعنى أو معنى مشابها لكنهما غير مرتبطين سببيا وهي

تظاهي السببية في كونها مبدأ توضيحيا وهو يشبه تعريف كامرر للتسلسل الى أن يونغ يربط تزامنيته بالاشعور الذي يعمل في رأيه خارج الوقع الفيزياوي المعروف للزمان والمكان فالمستقبل في التزامنية يعمل كأنه موجود في الحاضر، يقول يونغ [إن التزامن ظاهرة تبلوا مرتبطة اساسا في الحالات النفسية اي بعمليات تحدث في اللاوعي ولما كان هناك ما يسميه يونغ (اللاوعي الجماعي) الذي يشترك فيه كل أعضاء الجنس او السلالة فالعوامل الحاسمة في اللاوعي الجماعي هي النماذج الاصلية التي تشكل هيكلها وهي الذكريات المستخلصة للعينات الانسانية كما أنها تقوم بتوفير نماذج سلوكية لكل البشر في مواقف معينة، إنها اشبه بالطراز لدى كل البشر وفي مجال آخر يقول يونغ [إن الاحداث التزامنية تقوم على الظهور التزامني لحالتين نفسيتين مختلفتين إحداهما هي الحالة الطبيعية المحتملة (اي التي يتم توضيحها سببيا) والأخرى هي التجربة الحرجة اي التي لا يمكن استخراجها سببيا من الاولى.

واذا كان يونغ قد توقف عند حدود معينة في طرحه للترانمينة وخاصة علاقتها بالاي جنك وعمله بنظام لاهو مبني على السببية الفيزياوية المعروفة ولا هو بالصدفة التي لا يمكن تحقيقها ضمن نظام

معروف وانما بتزامينة محددة، الا أن اليونانيين والباحثين بعده حاولوا دراسة هذا المفهوم على المستوى الفيزيائي والكوني والاحيائي وصول الى التطابقات التي لم يبحثها يونغ والتي وصفها العلم الحديث بتقديمه اليوم في مضماره فماذا قال هؤلاء؟

لعل فكرة وحدة الكون الفيزيائية كتركيب وكنظام وهي التي قادت يونغ وخلفاؤه للحديث عن وحدة الانسان مع الطبيعة والكون وهي التي جعلت يونغ يفترض وجود (نماذج اصيلة) عبر عنها اللاشعور الجمعي من خلال الاحلام والاساطير والطقوس السحرية فهذا الكاتب الفرنسي هيوبرت ريفز يكتب فصلاً في كتاب التزامنية تحت عنوان دخول عابر للعالم اللاسبي يشرح هذه المسألة فيقول^(٢٣) فمن حالة الكواركات (الجسيمات البدائية) وصلنا الى حالة النويات ومن ثم الى الذرات فالجزيئات الاكثر تعقيداً - ومن ثم الى الخلايا فمختلف الاعضاء الى ان نصل الى الكائن البشري، فالوعي بالنسبة لمعرفتنا هو الخاصية النهائية التي تنبع من المادة التي تتشكل، ووفق هذا المنظار ستكون الحالة

(٢٣) التزامنية

اللاسببية التي اكتشفت في الظواهر الموصوفة انفاً هي تلك التي تدخل ضمن اطارها مسألة (الحس) او (الغاية) في الطبيعة - ووفق هذا المفهوم اللاذهني فإن وعي الانسان ينتمي الى الكون كما لو كان مكتوباً في تطوره.

ان يونغ وباولي بعد نقاش طويل على الاساسيات الثلاث الكبرى للفيزياء التقليدية - قوانين حفظ الطاقة - اتصالية الزمان - المكان - السببية تولاً الى اضافة كياناً رابعاً اطلق عليه (التزامنية)، وارادا بها ان يضيفان الى وجود الحوادث التي لايمكن للمرء ان يفسره خلال لعبة الاسباب والنتائج من جهة، والتي تمتلك من جهة اخرى (معنى) ليدركه المراقب. ولما كانت الفيزياء قد توصلت الى عدم معرفة وجود اسباب تحدد ظاهرة النشاط الاشعاعي - لاسبب النشاط الذي هو الشحنة الكهربائية المفروضة ولكن السبب الذي يمكنه تحديد لحظة - انفجار الذرة - كما ان الفيزياء (لازال حائرة امام ما طرحته ميكانيكا الكم بما يسمى تناقض اينشتاين رمود لكلي - روزين - والذي يتحدث عن سلوك الذرات المتوافق فيما اذا افترقا كشعاعين منفصلين بعد اتحادها واستجابة الشعاع الاول لمتغيرات يخضع لها الشعاع الثاني رغم بعد

المسافة بينهما، كما ان الفيزياء الفلكية توصلت الى وحدة درجة حرارة الذرات عبر الوميض المتحجر المنبثق عن الانفجار الكوني الاولي (بك بن) الذي صعد قبل خمس عشر مليار سنة، كل هذا وغيرها قادت الفيزياء الى الحديث عن عامل لاسبي في الفيزياء والتزامنية هي هذه التسمية التي اطلقت على هذا العامل اللاسبي.

لقد اقتنع بولي الحائز على جائزة نوبل بالفيزياء انه من الممكن ان يشرح العلم ذاته من خلال اسقاطات اللاوعي كما ان يونغ اقتنع ان أي فلسفة ماهي افق لعلم النفس من خلال الابعاز الذي يحدثه منها فهناك اتفاق على القناعة بانه من الممكن القفز من المجال النفسي الى مجال الوجود ومن علم النفس الى الانطولوجيا فكيف تم ذلك؟

أن البعد الاخر لدى يونغ في التزامنيته يظهر من خلال اعتبار كلية الكون كل لايتجزأ وعلى نحو ما (اعلى) وفي الوقت ذاته (داخل) لانبساطه الخاص، وبهذا فلا يمكن أن نتحاش.

مراعاة ان الانسان يشكل جزء منه بضمنها نفسيته بطبيعة الحال، وبهذا فان اللاشعور هو احد مكونات هذا الكون إذن يجب ان يبنى بذات الطريقة التي هو عليه، لقد توصلت الفيزياء الفلكية الى ان الكون

هو كل واحد مركزه في كل مكان ولا يوجد محيط في أي مكان ان هذه الفرضية ستقود الى فرضيات ثانوية تنطوي على تجانس الظواهر أو قوانين الطبيعة وذلك دون اللجوء على المستوى الميتافيزيقي إلى مفاهيم طالما أن السببية الفيزيائية تكشف عن تتابع زمني فإن ذلك يتطلب عن العكس مفهوماً جزئياً لتفسير الكل الذي ولدته ان كلية الوجود تحل تناقض انشتاين لاودين بود ولكن، المعروفة فليس هناك تبادل معلومات بين الجسيمات وانما هناك نظام يشمل كله، وهو هذا المفهوم الكلي لتبادل التأثير الموحد ان يونغ يفترض وجود معرفة مطلقة في كل جزئيات الكون يطلق عليها اللاشعور _ المعرفة المطلقة _ او سحابة المعرفة ويعلق احد اليونانيين على هذا بقوله (ان اللاشعور يمثل معرفة الكون لنفسه ربما لا يمكن التعرف عليه بهذا النوع من المعرفة اللازمة اللاواعية حتماً، لهذه المعرفة (العمياء) للمادة التي تفرضها فكرة كلية الوجود والتي يطلق عليها يونغ (المعرفة المطلقة)، ويضيف اذا ماصح ان الكون كل لا يتجزء وان هذا الكل يولد تاريخاً معاشاً، واذا ماصح ان الكون هو في ذاته كمي ونسبي للتحديد ينشيء حتمية الاحتمية.

ويشير الى امكانية رد ظهور المعنى في العالم من ناحية ما الى (معنى للعالم) الذي يظهر في لعبة القانون والصدفة، ان هناك سببية ولاسببية كنظام مبدع هو الوسيط لكلية وجود الكون عندما عرض يونغ فكرة المعرفة المطلقة فإنه استدل بشكل واضح على فلسفة لينتر، وعندما يتفحص اللاوائل حول مفهوم التزامنية فإنه يقدم لينتر بكل وضوح _ كما ان اعتباراته حول الاعداد واهتمامه بطريقة الاي جنك كنموذج عملياً بقي لبعض ظواهر التزامنية والمفهوم حول هذه الاخيرة كظهور عددي (للعالم الموحد) كلها ترجعنا الى تقويمات لينتر لهذا النص الصيني.

إن الصورة التي ترسمها التزامنية للمعرفة المطلقة الكامنة في اللاشعور الكوني والجمعي والفردى تظهر لنا كما يلي : إن الانفجار الكوني الكبير يحقق (الواقع الفيزياوي الموضوعي) ويجعل الواقع النفسي الموضوعي كامناً مكبوتاً - لكن هذا الواقع الاخير رغم انه كامن لاشعوري فهو ليس غائب على الإطلاق عن (الانفجار الكوني الكبير) وليس فقط لم يكن غائباً بل يمكننا ان نكون واثقين انه بدون هذا الواقع النفسي الموضوعي لايحي الواقع الفيزياوي الموضوعي تحقيق نفسه، مع

ذلك فجسيم او نواة الهيدروجين او الهليوم تحتوي على قدر من المعلومات (اكتساب حراري) إذن فالواقع النفسي الموضوعي المعلوماتي ويتابع تحقيق ذاته في بنيات مادية تتعقد أكثر فأكثر (قوانين الفيزياء العامة) لهذا فهو لن يستنقذ نفسه، وسيستمر الواقع النفسي الموضوعي في ان يشغل ما نطلق عليه العالم الآخر : اللاسبي - المكاني - الزماني، عالم الدلالة والمماثلة والمعنى والقيمة... إذ هذا الواقع النفسي الموضوعي مازال بالنسبة لنا عصي على الفهم وغير منظور ويتعذر على الوصف في جزئه الاكبر رغم انه متحقق في تركيباتنا الفيزيائية البيولوجية، على ان القفزة النوعية لتحقيقها في الواقع الفيزيائي تحدث مع ظهور الحياة البيولوجية على كوكبنا...

إذن فالطبيعة والنفسية هما في ترابط دائم، لكنه ترابط لاسبي فهو في ترابط الاحاسيس وليس في ترابط السبب والنتيجة وعندما تتحقق النفسية تاخذ الطبيعة في البيولوجيا شكل اخر افكار، فكرة علمية، وربما لايتوجب علينا ان نحدد هذا الشكل الجديد الى بيولوجيا كوكبنا بل ربما يتوجب تعميمها على المعلومات المطلقة للكون بما انه العالم الموحد ان اللاسبية اللاعقلانية لمبدأ الواقع النفسي الموضوعي تبدو لنا نادرة

الوجود محتملة الوقوع ولا تخضع لأي قانون، وفي الحقيقة يوجد على الأقل في الكون المطلق (العالم الموحد) ظواهر لاسببية (لا عقلانية ولا حتمية سببية) بمقدار ما يوجد من من ظواهر سببية تتطابق بشكل فسري مع ظواهر لاسببية ونعني بذلك ظواهر كشف لاعقلاني للمعنى ماخلاق الأشارك الأحيائي الذي يتطلبه هذا الكشف، فالأرباط السبي هو ذلك الأرباط الفيزياوي والأرباط اللاسبي هو الأرباط النفسي الموضوعي والمكمل الريالكتيكي الضروري للأرباط الفيزياوي. إذا لكل شيء في هذا العالم عبارة عن معلومات من اصغر جسيم كمي او حتى اصغر منه الى اضخم مجرة عملاقة إن الكون مطلع (كونياً) وبشكل مطلق في كل علامة من علاماته مثلاً يوجد وبشكل دائم إتصال لاسببي للمعلومات بين الجسيمات - الأرض - مادة الـ DNA للخلايا الجنسية مادة الـ DNA للأجناس التي افضت الى الإنسان العاقل نشوء الأخريات وتطورها (نشوء الكون النفسي واسقاطه على الموت والحساب والحياة الأخرى).

لقد وصف احد علماء السلوك يونغ بأنه على شيء من الجنون لأن مفهوم التزامية لا يمكن ان يكون ذو أساس كبير بالنسبة لأي شخص

عاقِل، إن التزامنية ليست حوادث متأصلة في العالم المادي فحسب بل انها وبذات المقدار متأصلة في عالم النفسية وتتجلى هذه الظواهر في الحقيقة عندما تكون النماذج الأولية قد تجمعت ونعني بذلك عندما تكون نماذج القاعدة قد نظمت في النفسية الموضوعية اذ تمثل الظواهر النفسية في نهاية المطاف لحظات فرعية خاصة، يمكن ان تتعايش فيها العلاقات بين المادة والنفس حينئذ يجد كل من العالم الخارجي والعالم الداخلي نفسه في ادنى حد، أي في علاقة تفسير يختبرها كنوع من الانعكاس المتبادل وبهذا الصدد كتبه فون فراز...^(٢٤) في الطبقة الأكثر عمقا من اللاشعور (نعي) النفسية ذاتها في مرآة العالم المادي الكوني والمادة في دورها (تعي ذاتها في مرآة النفس الموضوعية بيد أن هذه النفس تكون مطلقة أي انها بالنسبة لنا متعالية على شعورنا كليا على اننا لا نستطيع أن نعي بشكل جزئي وبالموعد المحدد هذه العلاقة المرآتية إلا في تلك اللحظات النادرة التي تقع فيها الحوادث التزامنية وهنا يجد كل من العالم الخارجي والداخلي ونفسه وبشكل واضح في علاقة انعكاس متبادل مستمر لكن الشيء الذي لم يوضحه القول هو من يعكس من.

(٢٤) التزامنية، ص ١٣٤.

إن المادة هي التي تعكس النفسية كما يقول يونغ مقدار الاستقرار الذي تفهم النفسية به العالم الفيزياوي أن التطور (نحو الارتقاء) داخل السياق التطوري العام لن يتطابق مع تنظيم مادي أكثر تعقيدا في مستويات البناء فحسب بل سيتطابق في الوقت عينه أيضا مع الشعور بنفسية متنامية أكثر فأكثر وهكذا سيفهم التطور المادي للطبيعة على أنه انعكاس مستمر للتطور وللتخليق المضطرد للنفسية الموضوعية إن مفهومنا ديناميكي في كلا الاتجاهين إذ فيه يكون العالم النفسي والعالم المادي انعكاسين متضادين تربط الواحد بالآخرى علاقة مباشرة فإذا ظهر بالنسبة لنا على أنهما جانبين يجب أن نفرق بينهما من الناحية المبدئية فذلك لأنهما ومع ذلك وفي أقصى عمقهما جزئين لكل كوني واحد.

إن مفهوم الكل النفسي والفيزياوي الذي هو تجل لطاقة عمق واحد فقط يلتقي على نحو واضح في النظرية التي كان ديفد بوهر قد أخذها وفق منظاره يكون كل شيء في تدفق وكل شيء متفق وهي وجهة نظر يشاطره فيها العديد من الفيزيائيين إذ لن تكون كل الأشياء والاحداث والكيانات والظروف والبيانات في نهاية المطاف إلا أشكالاً مجردة لهذا التدفق أما خلفيتها النهائية التي هي الكيميائية غير المفهومة لهذا

التدفق الكوني أن هذه العبارات نكاد نجد نصها لدى كونفوشيوس والتاوية إن المفهوم اليوناني لطاقة واحدة التي تظهر في تواتراتها المخففة كمادة وفي تواتراتها الأكثر كثافة كنفسية يشبه من عدة جوانب الأي جنك لدى الصينيين هي اتصالية دون لم في المادة وذات طبيعة غازية وطاقة مادية كونية تحتاج الكل وتحصيلها الاساسي هو اليانغ وآلين وتنزع الأي جنك اي تحمل تكثيف و تخفيف جزئي اما يونغ فهو على العكس يعطي الاسبقية إلى الجانب النفسي والروحي هذه الطاقة التي تنكشف لكي تظهر في الامتدادات المجسدة ماديا.

على أن يونغ لم يفترض نظاما لاسيياً فقط بل أن نظامه يمتلك أيضا معرفة حيث أشار إلى أن ما نطلق عليه تعبير النفسية الجمعية ليمتلك معرفة اطلق هو عليها (المعرفة المطلقة) لأنها تختلف تماما عن معرفة شعورنا، ونجد اليوم هناك عدد من الفيزيائيين الذين يقبلون ببعض الاشياء مثل (العقل الكوني) بيد أن ما يزال هناك خلاف حول معرفة فيما إذا سيكون هذا العقل شعوريا أم لا شعوريا.

أما في ما مجال الاعداد التي يعتبرها يونغ نموذج أولي لنظام في طريقه لأن يصبح شعوريا فإن التجلي الأكثر بدائية أو الأكثر بذرية من كل تجليات احد النماذج الاولى أو أي سياق نموذجي أولي، إن هناك

حديثا لدى الفيزيائيين عما يسمى (شعور أول) في المادة غير العضوية ويمكن هنا افتراض إن الشعور الأول يرتكز على معرفة العدد، فبحدود معارفنا الحالية نجد أن الجسيمات الأولية مثل الكواركات والبروتونات والميزونات والبايرونات (تعرف العدد) فهي تتحد سداسيا وثلاثيا وثمانيا، وإذا كان اكريتز يعتقد إن الإنسان يملك حسا رقميا لاشعوريا فرميا يكون ذلك نفس الحس الذي تمتلكه الجسيمات دون الذرية وانطلاقا من البعد دون الذري سيكون هناك طريق طويل للغاية، يجب أن يسلك للوصول إلى أول كائن حي وحيد الخلية وإلى برمجته الجنسية التي هي أيضا رقمية.

بل يبدو أن النظام الرقمي للوسيط الصيني الأي جنك، يتبع القوانين الرقمية للشفرة الوراثية نفسها وذلك من شأنه أن يكون ذو معنى بشكل خاص.

• • • • •

بين وحدة الكون الفيزيائية ومبدأ التزامنيات النفسية حينما ننطلق من مفردة وحدة الكون في التصور الصيني لها والتي إذا اخذناها من نص الأي جنك لمجدها في القول بأن هناك مبدأ هو الأول الأعظم كما يقول الأي جنك، أو التاو كما تقول التاوية كان قبل كل الأشياء الموجودة

وهذا الاول او التاو تحرك في البدء فتج عن حركته الاول - اليانغ فاذا ما انتهى تحركه الى هدفه سكن فتج عنه الثاني الين، ومن خلال استمرار عملية التغير والتحول بين اليانغ الين وجدت كل الموجودات اللاحقة وكان وجودها كله يقوم بصفتين هما اليانغ وما يعنيه من سماء وذكرورة وارتفاع... الخ والين وما يعنيه من ارض وانوثة، وانخفاض... الخ، ولما كانت الموجودات الاساسية في نظر الصيني سواء كانت في السماء او على الارض لا تتجاوز - السماء، الارض، الرعد، الماء، الجبل، الريح - الخشب، النار - البحيرات او المستنقعات، فقد حصر تفاعل التغير والتحول في هذه الظواهر كلها ومن ثم انعكست هذه الثمانية على النفس الانسانية اشرف المخلوقات فتحصلت خمسة اخلاق او عواطف وهي الشفقة، العدالة، الذوق، الحكمة، الايمان الصحيح.

والكون كله لا يتجاوز هذه المعطيات المتحولة في منظور الصيني الاي جنك، اما عملية التغير والتحول فيقودها مبدأ غائي هو الوصول الى الشيء الصالح المنبثق عن الطبيعة الثابتة في كل منهما بحيث ينال كل شيء في الكون فطرته السليمة التي تحددها السماء وعندئذ يتحقق للكون الوحدة والتجانس)) وكل عمل الاي جنك يقوم كنظرية معرفة او

معلومات على رصد هذه التغيرات والتحويلات ووضعها في سياقات تنظيمية وعقلية لتقود الانسان الذي هو جزء منها اولا وهو الذي يدركها ثانيا الى ان يعيش حياته وفق السياقات هذه التي توصله الى ان يكون الانسان الحكيم الحصيف ومن هنا فان مبدأ السماء هو الذي يمد جميع الاشياء ببداياتها ومن ثم تقوم الاشياء بحكم فطرتها وعبر عمليات البانغ والين بالسير الى تحقيق هذه الفطرة فما ينبعث من السماء ونهجها هو الخير والانسان يكون حكيماً بمقدار اخلاصه لهذه الحركة واستخدام معطياتها للانسجام معها خاصة وانه جزء منها اساسا، اذ مفهوم التغير في الاي جنك هو مبدأ مطلق يمارس نشاطه على جميع الاشياء في الكون ومنها الانسان نفسه غير ان الانسان يستطيع التأثير في التغير عبر فهمه هذا التأثير والانسجام معه اولا ومن ثم التحكم بمساراته المناسبة لقدرته وظروفه، فالبذرة تنمو بفضل التغير ولكن في مكثنة الانسان التدخل في عملية التغير عن طريق توليه زراعة البذرة - والتغير نظام عضوي يتوافق مع طبيعة الانسان، كما انه نظام دوري متعاقب متسلسل كاليل والنهار والفصول الاربعة والمسارات المحددة لكل منها اذن فالتبيعة ووحدة الكون هي اساس المنظور في الاي جنك سواء على مستوى الحدث

الفيزياوي المتغير والموضوعي او على مستوى الاخلاق الانسانية المينة اساساً على هذه المعطيات وتسمى الطبيعة البشرية فالطبيعة البشرية تتبع الخير مثلما ينشد المستوى الاوطأ وطبيعة الانسان مزودة بمشاعر تدفعها صوب الخير وهذه المشاعر لم تسكب فيها من الخارج - البيئة - بل هي جزء ذاتي اصلي، ومن هنا كان الصالح هو الفعل الذي يتطابق تماماً مع الطبيعة البشرية المفطور عليها الانسان اساساً ويعبر عن مفهوم وحدة الطبيعة في المفهوم الكونفوشيوسي الفيلسوف منشيوس الذي يقول متحدثاً عنها (هو حالة تتحد فيها جميع الاشياء، وتكون جسماً واحداً، وهنا يندمج الفرد في الكون بأسره وتنمحي الفروق بين الذات وعدم الذات، بين الظاهر والباطن، ذلك لان روح الكون وروح الفرد كانتا في الاصل شيئاً واحداً بيد أنهما انفصلتا، ثم انبعثت من عملية الانفصال عوائق وحواجز هي الرغبات الأنانية فلو أمكن للفرد ان يتخطى هذه العوائق فعساه يؤوب الى الوحدةانية مع الطبيعة وهو ما يعبر عنه بالتخلص من الرغبات الانسانية وانصباب قانون السماء دون عائق).

أما المدرسة التاوية وهي ايضاً منبثقة عن الاي جنك ومبادئه الاساسية فتصور وحدة الكون كما يقول لاوتزو مؤسساً في اصل تعريفه

للتاو حيث يقول بأن التاو مصدر الكائنات جميعاً وهو الذي يسوس جوانب الحياة بأسرها سواء كانت بشرية ام غير بشرية وهو الوحدة الاساسية التي لا تتجزأ، والتي تحل في نهاية المطاف جميع متناقضات الوجود ومفارقاته، وان الانسان الحكيم الانسان الكامل هو الذي يكون على بصيرة بمبدأ التاو الخفي ويتولى ترتيب حياته وتبويب اعماله وفقاً لاحكامه، والتاوية في مجال الحياة البشرية تدعو الى الانصياع لحركة الكون واطراد العملية الكونية، والسلبية تجاهها، لأن حركة المظاهر الكونية في نظام بديع يبلغ ذروة الكمال، فالفصول الاربعة تتبع نظاماً واضحاً دون حاجة الى نقاش او لجاج وتسير جميع الظواهر الطبيعية المتعددة وفقاً لمبادئ محكمة، والحكيم العظيم من يسعى لفهم اسرار الطبيعة ويعني باستقراء مكوناته، فالحياة عندما تقبل فلأن الوقت قد آذن بقدومها وعندما تروح فلنتيجة طبيعية للأحداث، وتقول التاوية اذا اولئك الذين يدركون اوضاع الحياة لا يرمون المجاز شئ تعجز الحياة عن اتيانه ومن يعلم تصاريف القدر لا يتطلع لما فوق متناول المعرفة، وبالتالي فإن التاوية تقفز من الحالات الفردية الى القانون العام الذي ينظم بقول لاوتزو (ان من ادرك معنى التغير لم يعد يركز انتباهه على الاشياء الفردية المؤقتة بل على

القانون الابدئي الثابت الذي يعمل في كل تغير وهذا القانون العام هو التاو، انه سكة الاشياء واصل الواحد في الكثرة)، ان التاو الذي لا يدرك باللمس ويمتنع عن القياس - كما يقول لاوتزو - تكمن فيه نماذج الاشياء واصولها ويضم بين طياته الذاتية والوجود واخيراً فان وحدة الكون تأثراً وتأثيراً وعبر عملية اليانغ والين المتغيرة تصبح حتى في الاخلاق والسلوك الانساني من صفات الحكمة يقول تشوانج تزو المعلم الثاني للتاوية (الكون وحدة جميع الاشياء، فلو سلم الفرد بذاتيته مع هذه الوحدة، تصبح لديه فكرة الموت والحياة - وكذلك البداية والنهاية - وهي تعكس صفو حياته - مجرد تعاقب الليل والنهار) وبناء على كل هذه المعطيات كان الاي جنك يبني تنبؤاته واستشاراته، فما دام الكون والانسان نشأ نشأة واحدة ومن اصل واحد فان قانون التغير عبر اليانغ والين تنطبق عليه، وعليه كسلوك حياتي اخلاقي ان ينسجم مع هذا التغير وهذه القوانين، لأن ارادة السماء خيرة وهذه القوانين كما تظهر في الارض وظواهر السماء حكمة مثالية كاملة لذا فان الانسان الحكيم هو من يستسلم لها مقتنعاً بان كل حال سيحول وكل قوة ستضعف وكل ضعيف سيقوى فدورة الكواكب في السماء وحركة الليل والنهار وتبادل

المواقع في الفصول الاربعة وكل شئ يقود الى الاعتراف بهذه الحقيقة، فلماذا نقف امام التيار وهو في اوجه فانها لا بد ان يأتي بعده الهدوء والسكينة.

ان هذه النظرة الوصفية لاستقراء الاحداث الكونية وسيرها على سكة محدودة مرسومة ونظراً لان الدورات تجعل النهاية تلتقي في البداية في كل سير دائري فقد كان الآي جنك يمارس نشاطه التنبؤي ويعطي الاستخارات البشرية مفردات السير السليم والحكمة العميقة، على ان هذه النظرة الساذجة بمنظورنا المعاصر لا يمكن ان تفسر سر القدرة السحرية الغريبة لهذا الكتاب، فأين يكمن اعجازه الذي نشاهده في التجربة العملية والممارسة الواقعية؟ وهل هناك ارضية علمية، رياضية، يمكن من خلالها ان تفسر هذه الغرابة والعجائية؟ وكيف يمكن لكتاب وصفي بدائي ان يعطينا موقفاً في مجتمع معقد كمجتمع القرن العشرين إجابات تجعل كل الذين عرفوه وجربوه من علماء فيزياء او علماء نفس او باحثين وكتاب يحترمون عقولهم ومعطيات العلم المعاصر يصرون على استشارته في كثير من شؤونهم الحياتية حتى الجزئية منها ويستريحون لما يقول وقد يتبعون كلماته حرفاً حرفاً؟ وهل هناك اليوم -

وبعد خمسين قرناً من ظهور الكتاب - مايدلل في علوم عصرنا وما يؤيد ما يقوله هذا الكتاب؟ سواء على المستوى الفلسفي او العلمي، وعلى مستوى الكوزمولوجيا والسيكولوجيا او الباراسيكولوجيا، وعلى مستوى الاحصاء الرياضي والتجارب الفيزيائية المعقدة الحديثة؟ بدءاً يجب ان لا نغفل ما حاول ان يفعله لينتز في الحساب الكوني وان يرجع كل معطيات العلوم التي واكبها الى أسس واحدة ذات طابع رياضي او رمزي موحد، لقد كانت ملاحظة لينتز الاولى على مجمع الثقافات الفلسفية والعلمية التي اطلع عليها فوضع منها يقوم على ما قاله (٢٥) (لقد تأثرت بمذهب جديد ومنذ ذلك الحين اظنني ارى وجهاً جديداً لباطن الاشياء، هذا المذهب يبدو جامعاً افلاطون الى ديمقراطي، وارسطو الى ديكارت، والمدرسين الى المحدثين، واللاهوت الاخلاق الى العقل، ويلوح انه يأخذ الافضل من كل صوب، ثم يمضي الى ابعد عما مضوا للأن واذا التفتنا الى اثار الحقيقة هذه عند القدماء، استخرجنا التبر من التراب والماء من المنجم والنور من الظلمات واقمنا فلسفة دائمة. هذه الفلسفة تضم طرفاً من كل مذهب وتوفق بين الاضواء توفيقاً مبتكراً،

والاضواء كثيرة، الكلي والجزئي، الممكن والموجود، المنطقي والميتافيزيقي الرياضي والطبيعي، الالية والغائية، المادة والروح، الحس والعقل، تضامن الاشياء وفاعلية كل منها، ترابط العلل والحرية الانسانية، العناية الالهية والشر، الفلسفة والدين لقد باتت هذه الاضواء متنافرة متباعدة حتى ير في سبيل امام الفكر سوى الاختيار بينها والميل الى جانب دون آخر.

لقد حاول لينتز ان يستخلص من كل هذه الاختلافات المعاني البسيطة الاولى ويرمز لها بأشارات تكون بمثابة الف باء الفكر ثم يعين جميع التأليفات الممكنة لهذه الاوليات ويرمز لها بأشارات لقد حاول ان يوجد (لغة كلية) من الاشارات جميعاً او علم (الخصائص الكلي) يكون في ان واحد منطقاً ودائرة معارف واجرومية.

ان اطلاع لينتز على الاي جنك جعله يحاول ان يفعل مثل فعله ولكن ضمن معطيات فلسفية ورياضية دقيقة ففكرة جمع العالم كله والكون كله في قانون ومائر الحديث عن المتضادات اوالتمايزات المتفاعلة مع بعضها كل ذلك قاد لينتز الى محاولة رسم الحساب الكوني لكل شئ فتوصل الى ما اسماء المونادات التي تعني الوحدة، وهي قوة متجهة الى الفعل بذاتها حاصلة على التلقائية، فلا تفعل بتحريك محرك مغاير كما

هو الحال في المادة وهذه القوة وسط بين القوة والفعل، فحالاتها الداخلية الكامنة قوة تتجه الى الفعل التام وهذه المونادات تتمايز فيما بينها ولها ذاتية بل وجود حي ومعرفة لانها مرآة للوجود.

ان محاولة لينتز في وضع هذه اللغة وتجاوزه عن مبدأه الموحد كان اول ممارسة عملية للتفاعل بين منطق وحدة الكون واشيائه ولغته الموحدة وما طرحه الاي جنك كلغة حسابية تعتمد على شكلين هندسين يقوم الاول على شكل خط متصل والاخر خط متقطع، وعلى الرغم من ان برتراند رسل قد وصف لينتز بأنه مؤسس المنطق الرياضي الا انه مع ذلك لم يستطيع ان يحقق لغته الرياضية الشاملة للتعبير برموز عن حركة التغير والوجودات في الكون كله.

ان نظرة مراجعة الى تاريخ العلم والفلسفة وموقع الرياضيات في نظرية المعرفة يقودنا الى التسليم بما قال به أي جنك حول الطبيعة بلغة بدائية قديمة واستنطاقها لها برموز بسيطة شكلية. ان واقعية الفيزياء الرياضية تقوم على ما قاله (هيوجين ويجز) والذي يشبه عمل الاي جنك ولكن بلغة بدائية رغم ان ارضيتها علمية كما نرى^(٢٦) (لحن في وضع

(٢٦) للرياضيات والبحث في المعرفة

مشابه لوضع الرجل الذي في حوزته مجموعة من المفاتيح وعليه ان يفتح عدداً من الابواب بالتعاقب، فهو يحصل على المفتاح الصحيح بالمحاولة الاولى او الثانية فيشك في تباين المفاتيح والابواب معاً) أما لو سأل الاي جنك فإنه سيجد المفتاح المناسب للباب المناسب في اول تجربة. لقد توصل العلماء من وصفهم للطبيعة من خلال الرياضيات البحتة الى ان هناك نجاحات هائلة رائعة لأن الطبيعة تتصرف رياضياً، لقد اعتقد كل من ديكارت وكيلر ونيوتن وكذلك ليبتز ان هناك تناسقاً متصلاً في الطبيعة يعكس نفسه في عقولنا على شكل قوانين رياضية، هذا التناسق هو سبب ان الاحداث في الطبيعة يمكن التنبؤ بها من خلال الملاحظة والتحليل الرياضي، لقد اكد اتباع ديكارت على حقيقة التصميم الرياضي للطبيعة، كما ان كيلر نفسه اعتبر ان حقيقة العالم تكمن في العلاقات الرياضية، اما غاليلو فلقد قال ان المبادئ الرياضية هي الف باء التي كتب بها الله هذا العالم وبدون مساعدة الرياضيات يصبح من الصعب كتابة كلمة واحدة، وبالحقيقة فان صفات العالم الطبيعي التي يمكن صياغتها بعلاقات رياضية هي الصفات التي يمكن معرفتها، كما ان العالم رياضي في تركيبه وصفاته وان الطبيعة تعمل من خلال قوانين ثابتة

غير قابلة للتغير ومن هنا نرى ان غاليلوا اعتقد ايضاً بالتصميم الرياضي لخلق الكون. كذلك اعتقد نيوتن بان الله خلق العالم وفقاً لمبادئ رياضية معينة ولعل خير تفسير لنظام العالم الرياضي هو القول بانه يوجد في الطبيعة انسجام خفي ينعكس في عقولنا على شكل صور من القوانين الرياضية البسيطة، هذا هو تفسير اكتشاف الاحداث في الطبيعة على شكل تركيبات من الملاحظات والتحليلات الرياضية وبهذا فان متطلبات الانسجام في الطبيعة وجدت لها تفسيراً بعيداً عن توقعات العلماء.

ان كثيراً من الافكار الفلسفية والعلمية المعاصرة لمجد لها اوليات في كل الفكر الانساني القديم وخاصة الصيني والهندي واليوناني، لذا فان ادراك التشابهات بين ما يقوله أي جنك او ديمقريطس حول التغير وما لمجده اليوم من حديث عن الذرات والحركة ونظام الرياضيات التي يحكمها هو وضوح اخر وتسمية معاصرة لفردات قديمة يقول موريس كلاين (لقد حدد العلم موقفنا من الطبيعة منذ زمن الاغريق حيث تم التاكيد من نتائج النظريات العلمية الرئيسية مئات بل الاف المرات، كما تم بناء الفلسفات الرئيسية بوجود النتائج العلمية لعلوم الفيزياء

ان التطورات الحديثة وخصوصاً بالنسبة للنظرية الكهرومغناطيسية والنسبية والميكانيك الموجي طرحت فكرة النظر الثنائية في المذاهب الفلسفية حيث يتعلق موضوع هذا الفصل في رسم الخطوط الفلسفية القديمة والحديثة التي وصفت وجهات نظرنا عن الطبيعة (لقد حاول كلاين فلها ان يشير الى التشابه بين تصورات الاي جنك عن الكون ووحدته وبين العلم الحديث وما يقوله في هذا الصدد فيقول عن اليانغ والين وتفاعلهما ^(٢٧) امتزاجهما الداخلي وينسب مختلفا هو التفسير كل الاختلافات بين جميع المواد والاشياء في الكون التشابه الضئيل بين الفلسفات القديمة والفكر العلمي الحديث نادراً ما يكون مرجحاً الا انه في هذه الحالة اغراء الحالة اقوى من ان يقاوم النظرية القديمة التي تقول بوجود (٩٠) عنصراً غير قابل للانقاص والتي عندما تتركب ببعضها تعطىها جميع المواد، قد أدت الى معرفتنا بأن جميع المواد يمكن ان تنحل الى ذرات وبأن سماتها الفردية هي نتيجة لتنوعات في نسب البروتونات والالكترونات في تركيبات هذه الذرات، اما الى أي مدى تشابه هذه النظرية مع مفاهيم ومبادئ اليانغ والين فانا لا اعرف وبشكل ظاهري

(٢٧) أي جنك ص ١٩

سطحي هناك تشابه صاعق فمدرسة الفكر تعتقد ان اصل المواد واحد
وبأن الاختلاف بينهم هو نتيجة لاختلاف في تركيب ما يمكن ان نسميه
بالجوانب السالبة والموجبة .

ان نظرة رقمية حسابية يلقيها كلاين على الاي جنك ليجد فيه
اساساً رياضياً غريباً فالتغيير كما يقول (ينظر اليه كامتداد من واحد الى ما
لا نهاية على طريق يحتوي من اجل السهولة (٢) ين ويانغ و (٨) رمز
الجداول الثلاثية و (١٦) مرموز ببعض الجداول السداسية، و (٣٢) رمز
هذه و ١٦ جدولاً سداسياً اخر و (٦٤) رمز جميع الجداول السداسية،
وبكلمات اخرى كل مرحلة على الطريق تتكون من صنف الرقم السابق،
وبسبب عدم وجود مراحل بين (٦٤) وما لانهاية هو نتيجة قرار لعدم
تعقيد الامر امام تفهم الانسان الاعتيادي (وحتى مع هذا الحد الاعتباري
في ارقام الرموز فان كتاب التغيير يستطيع توفير (٤٠٩٦) اجابة ممكنة
على اسئلتنا وهو رقم جيد بالتأكيد .

ان مفهوم الوحدة الكونية الفيزيائية وتبادل التأثيرات في كل شئ
والتشابه بين الكون الصغير الانسان والكون الكبير نجمه بوضوح يقول
بيكو ديلا ميراندولا وهو يتحدث عن ثنائية السبية والوحدة اللاسببية

حيث يقول ^(٢٨) (اولاً هناك الوحدة في الاشياء التي يشكل كل شئ فيها واحداً قائماً بذاته يتكون من نفسه وثانياً هناك الوحدة التي يتحدد بواسطتها مخلوق مع الاخرين كما تتحد ايضاً كل اجزاء العالم لتشكيل عالماً واحداً) بل انا نجد كبلر يتحدث عن روح العالم وروح الانسان كما تحدث عنها الكومنشيوس الكونفوشيوس، يقول كبلر ^(٢٩) (لا يمكن لاي شيء ان يوجد ويحدث في السماء المرئية دون ان يتم تحسسه بوسائل خفية في اقسام الارض والطبيعة، وتتأثر هذه الاقسام من الروح الموجودة على الارض بنفس القدر التي تتأثر به السماء نفسها، ان الروح الطبيعية للانسان ليست اكبر حجماً من نقطة منفردة وعلى تلك النقطة نقش نمط سلوك السماء بكاملها وكان هذه النقطة اكبر من حجمها مئات المرات)، كما ان لينتزر كما رأينا يتحدث عن المونادات وكأنها كون اصغر عن كون اكبر حتى بالنسبة للمعلومات، ان وحدة الكون تستدعي وحدة قوانينه وتبادل التاثر والتاثير ضمن انسجام ونسق واضح وهذا ما لجده في التصور الصيني في الآي جنك وفي التاوية بشكل اوضح كما نراه لدى كل

(٢٨) جنور للمصانفة ص ٨٥

(٢٩) نفس للمصنر ص ١٩.

الصوفيين المسيحيين وغيرهم يقول ارثر كوستلر (ان المفهوم السائد هو (الوحدة في التنوع) أي ان الكل هو واحد والواحد هو الكل وقد وجد هذا المفهوم صدى له في كتابات الصوفيين المسيحيين كما انه يشكل عماد البوذية والتاوية فهو يوفر خطوط العرض لكرة شونبهور ويربط المصادفة بالتخطيط الكوني للأشياء واستناداً الى مايقوله يونغ فإن كل الممارسات المتعلقة بالرجم الغيبي من النظر الى اوراق الشاي وحتى الاساليب التنبؤية المعقدة لكتاب أي جنك مبنية على إن الاحداث العشوائية هي اسرار ثانوية يمكن النظر اليها بوصفها مؤشرات نحو السر المركزي).

ان الترابط بين وحدة الكون الفيزيائية جاء ليؤدي الى التزامنية النفسية كما عرضها يونغ والتي قد تجد اساساً لها في بناء الكون نفسه على اساس وحدة المادة والنفسية الفيزياء والسايكولوجيا والتي تظهر عند اليونغ في مفهوم اللاشعور الجمعي او تظهر كنظام معرفي او نظرية معرفة تعتمد السببية للفيزياء واللاسببية للترامنيات ذات البعد النفسي.

لقد عبر بعض الكتاب عن وحدة الكون المعروفة اليوم فيزيائياً وطبيعياً بناء على الحقائق التالية^(٣٠) :

١ - التشابه الكلي في تركيب اجزاء هذا الكون من اصغرها وهي الذرة الى اكبر نجومه ومجراته، نواة تدور حولها كهيربات في الذرة، الى كواكب تدور حولها الاقمار، الى شمس تدور حولها الكواكب. الى مجرات تدور حول بعضها فلك دوار.

٢ - تربط هذه الاجزاء ببعضها روابط الجاذبية والمغناطيسية والكهربائية وقوى غيرها. كل كتلة تجذبها كتلة اكبر منها فتغدو تابعة لها، وهذه كلها مربوطة بكون اكبر، والمشابهة في التركيب والوظيفة رابطة توحد كل الاحياء، والانسان هو جزء من هذا الكل

٣ - يقول انشتاين وسائر العلماء ان الطاقة والاشعة والمادة كلها حالات مختلفة لشيء واحد (الكل هو الواحد والواحد هو الكل).

وبالتامل في هذه المعطيات تكتمل صورة في الذهن لكون موحد اجزاؤه متماسكة فكل تفاعل فيه يشمل جميع اجزائه. ودقائقه كالجرس البرونزي اذا انقرته في أي نقطة ارتجت سائر اجزائه هنا ينير العلم الطريق

(٣٠) للحاسة السادسة ص ١٦٧

فجميع الظواهر التي ظن عند اكتشافها انها منفردة بذاتها تبين انها ليست كذلك بل هي متداخلة ومسببة بعضها لبعض فالكهرباء توجد حيث توجد المغناطيسية حيث توجد الكهرباء (الكهروطيسية) وهذا الاشعاع هو اساس الضوء واللون والحرارة الاشعاعية وامواج هرتز الكيمياء طفئ عليها على الذرة - وتحكم الاعصاب والغدد في الجسم اكتشف انه يعتمد على عمليات كهروطيسية ان قواعد الطبيعة التي كانت معروفة بالكهرباء والحرارة والضوء والنار الكهربائية والحركة الميكانيكية والمغناطيسية وجد انه يمكن تحويل أي نوع منها الى نوع اخر من الطاقة، ومجموع هذه الطاقات في الكون ثابت لا يتغير طاقة واحدة تاخذ اشكالا متنوعة، كل العناصر الكيميائية لها ذات المصير فكل الذرات وجد ان لها التركيب نفسه تختلف فقط حسب عدد الكهارب ودقائق النواة.

لقد لخص هذا الوضع هويته بقوله ((المادة هي الطاقة والطاقة ما هي الا نشاط، لا مكان لوجود أي شيء منفصل منفرد (الكل واحد والحد هو الكل) وهذا يطابق رأي يونغ الذي يقول يوجد عقل كلي واحد يشترك فيه جميع الاحياء. وقال هنري بوانكاريه في كتابة قيمة العلم ((اذ يحق لنا ان نتكلم في ظاهرة من ظواهر الكون ما دام كل جزء من

اجزائه متصلا بكل جزء اخر برباط التضامن؟ ان أية ظاهرة من الظواهر لن تكون نتيجة سبب واحد بل نتيجة اسباب غير متناهية العدد) ان اية ظاهرة مهما يكن شأنها ليست في الغالب الا نتيجة لحالة الكون كله في لحظة سلفت.

لقد كان ادراك الاي جنك للكون ووحدته هي التي قادت الى تحقيق نظام قدرته التنبؤية عبر استخارات الانسان وعبر العصر الخمسين او القاء النقود في لحظة معينة، فكيف يفسر العلم الحديث وحدة الكون بالمعطيات الجديدة للعلم فيما يفرزه من نظام علمي ومعلوماتي وتنبؤي، ان نظام الاي جنك يقوم على مبدأ التغير الذي يحكم وضع الاشياء بين اليانغ والين وتحولاتهما واللغة البسيطة للظواهر السماوية واشكالها الارضية وانعكاسها على ذات الانسان هي ما يشكل النظام المعرفي التنبؤي للاي جنك ولهذا فهو يستطيع تحديد كافة مفردات الكون في أي لحظة يريد وينصح المستشار بالتعامل مع متغيراتها المقبلة المحددة مضمونها تنبؤياً، فهل في العلم الحديث الذي وصل الى ادق تشخيص لحركات الكون والطبيعة والاشياء ما يمكن ان يقودنا الى التنبؤ العلمي المناسب لهذا الادراك لوحدة الكون مكونات وقوانين وسياقات؟ من هنا دخل

مفهوم التسلسل والتزامية على العلم الحديث يقول كوستلر^(٢١) (ان التسلسل والتزامن اشتقاقاً للمعتقد الاصيلي في الوحدة الاساسية لكل الاشياء والتي تتجاوز السببية الميكانيكية ومرة اخرى يعطي العلم الحديث تطابقاً غريباً لمفهوم التوحد الغامض، وقد يقارن المرء التطور العلمي على مدى القرن والنصف الاخرين بنظام نهر كبير ليلتلع المنبع الرئيسي فيه الفروع واحداً تلو الآخر لكنها جميعها تتحد في مصب واحد نهر هائل كبير). فكيف نفهم هذه التزامية وارتباطها وشبهها بالاي جنك وعمله؟

لعل اقرب اشارة دقيقة لهذا التعامل بين التزامية ليونغ والاي جنك يمكننا ان نجدها في مقالة يدلاندي يعقوبي بعنوان (الرموز لدى تحليل الفرد) والتي هي جزء من كتاب الانسان ورموزه الذي اشرف عليه يونغ حيث نجد يعقوبي يقول محلاً كتاب أي جنك^(٢٢) (يقوم الكتاب بالاساس على فرضية تقول بوحدة الانسان مع الكون المحيط وبوحدة الازواج المتكاملة التي يحققها الضدان (يانغ وين) أي عنصر المذكر وعنصر المؤنث وهو يتألف من (٦٤) علامة كل علامة منها يمثلها رسم يتكون من ستة خطوط. هذه العلامات تحوي داخلها جميع التركيبات التي يمكن ان

(٢١) جنور للمصانفة ص ٨٧

(٢٢) الانسان ورموزه ص ٢٨٠

يصنعها التقاء اليانغ بالين.... كل علامة تصف التغيرات في وضع الانسان او الكون، كما تحدد كل منها بلغة تصويرية مسار العمل الذي ينبغي اتخاذه في مثل تلك الاوقات. وقد كان الصينيون يستشيرون هذا الوحي من حيث انه يدل على العلامة صاحبة العلاقة في لحظة معينة من الزمن....) أما عن معنى كشف الغيب هذا فيعبر عنه يعقوبي بقوله (لكن ما هي الدلالة التي يتصف بها مثل هذا الكشف عن الغيب بالنسبة الى عصرنا الحاضر؟ فحتى اولئك الذين يقبلون الفكرة القائلة ان الاي جنك هو مخزن الحكمة سيجدون من الصعب عليهم ان يعتقدوا ان استشارة الوحي تتعدى اية تجربة من تجارب السحر والتنجيم، والحقيقة ان من الصعب الاعتقاد بإمكانية الوصول الى شئ اكثر من ذلك، اذ ان الانسان العادي في الوقت الحاضر ينبذ شعورياً جميع الطرق والاساليب الغيبية نوعاً من الهراء الذي اكل الزمن عليه وشرب، ومع ذلك فهي ليست هراء. انها وكما اوضح الدكتور يونغ تقوم بالاساس على ما ندعوه بـ (مبدأ التزامن) (او بصيغة ايسر مبدأ التوافق ذي المعنى) وقد وصف الدكتور يونغ هذه الفكرة الجديدة في مقالته (التزامنية او مبدأ الترابط غير السببي). انه يقوم بالاساس على الافتراض بأن هناك معرفة

لا شعورية داخلية تربط بين الحدث المادي والحالة النفسية، بحيث ان أي حدث بعينه يظهر (بالمصادفة) او (عرضاً) يمكن بالحقيقة ان يكون ذا معنى على الصعيد النفسي ومعناه غالباً ما يشار اليه رمزياً من خلال الاحلام التي يتوافق حدوثها مع الحدث).

اذن فان التزامنية اذا اثبتنا علميتها تفسر لنا الاي جنك وعمله تفسيراً علمياً، فاذا كانت وحدة الكون الفيزيائية قد اتفق عليها كمقدمات في الفكر الصيني للاي جنك وفي الفكر العلمي الحديث للترانيمية، فيجب ان نجد فهماً واحداً لكل من النتيجة التزامنية والااي جنك.

ان يونغ كما يقول كلاي تحدى العلماء الذين سخروا منه ومن الاي جنك وتكهانه لم يقف عند حد ان يطلب منهم تجربته بل حاول أن يفسر عمله في الفهم التالي رابطاً بين للاشعور وحالة الكون في لحظة معينة يقول كلاي^(٣٣) (عالم النفس العالمي يونغ تحدى سخرية زملائه العلماء بكتاب التغير وذلك عبر اعلانه لايمانه بتكهنات الاي جنك وقد ذهب ابعده من ذلك في محاولة لان يبين صحتها ونقاشه على حد ما فهمته

(٣٣) أي جنك ص ٧

هو. ان كل ما يحدث في دقيقة معينة مرتبط بحالة الكون كله انذاك، وعليه حتى لو تم استخدام اسلوب رمي قطعة نقدية بغية تقرير أحد أمرين، فليس هناك شك حول النتيجة اذ ان كيفية سقوط القطعة النقدية سوف يكون محكوماً من قبل الحالة السائدة، وفي هذا المضمار ايضاً نجد انه يستخدم جملة (اكتشاف اللاوعي) ويبدو انه يعتقد ان اسلوب عمل كتاب التغير هو سحب ماهو موجود في اللاوعي الى سطح اذهاننا كل ما هو ضروري لفهم صحيح للمشكلة الموجودة حلوها).

ام كولن ولسن فيفهم تفسير يونغ للاي جنك نجد التزامنية والاشعور بالشكل الذي عبر عنه قائلاً^(٣٤) (ويبر عالم النفس ك.ج. يونغ كل هذا بالمبدأ الذي يدعوه النزعة التزامنية، أي افتراض ان (الحوادث) (والمصادفات) ترتبط كلها بشكل ما بالعقل اللاواعي - وهو افتراض وضعناه نحن في اعتبارنا وبحشاه بالفعل في هذا الكتاب. فالعقل الباطن (يعرف) الاجابة على السؤال - هذا هو الافتراض الذي يستخدم لتفسير كل اعمال التنبؤ والعراقة - وتستطيع (المصادفة) التي تحكم سقوط قطع العملة او تقسيم سيقان النبات - ان تسجل هذه

(٣٤) الانسان وقواه الخفية ص ٨٣

المعرفة او تبرزها واضحة للعقل الواعي) ويشرح كولن ولسن بعبارات اخرى هذا المفهوم لعلاقة التنبؤ بالمستقبل بالاشعور فيقول (ان العقل اللاوعي هو النقطة التي يرتبط عندها الانسان حقاً بالطبيعة، وقد وصف مؤرخ علوم الغيب (و. ١. وايت) كيف قادته سنوات الدراسة اخيراً الى ادراك انه ليس هناك انفصال حقيقي بين الانسان وبين الكون ووصف ايضاً كيف تحول هذا الفهم العقلي الى استبصار يحسه بعمق بالغ من خلال مرض خفي اصابه فيجعله يظل في حالة تشبه الوعي خلال شهر كامل هذا... هو ما يحدد الهدف من كل الدراسات عن السحر وعلوم الغيب، اننا نعرف - بشكل نظري - اننا نمتلك عقلاً لاواعياً ومع هذا فاني اذ اجلس في هذه الحجرة ذات صباح مشمس فاني لاشعر به باي شكل من الاشكال لا يمكنني ان اراه او احس به انه يشبه ذراعاً رفدت فوقها لمدة طويلة في نومي فأصبحت كالميتة تماماً خالية من كل احساس والهدف الحقيقي الذي تسعى اليه اعمال من نوع الآي جنك او كابالا او مفتاح سليمان هو استعادة الدورة الدموية الى تلك المناطق من العقل).

يبدو ان اللاوعي والاشعور عند كثير من الباحثين حتى بالمعنى الفردي لا الجماعي كما هو عند يونغ. هو الذي يبرز المعرفة التنبؤية، ويمتلكها وما الآي جنك وما اشبهه من اوراق الثابث وغير انما هي

محفزات او تقنيات لاستخراج هذه المعرفة، تقول ان يدمو فمان في كتابها تطوير المهارات النفسية وهي تتحدث عن الاي جنك وتوحي مستخدمة بضرورة الاسترخاء، والتأمل^(٣٥) (ليس هناك ردود في الكتاب بل انها توجد داخلك، ومهمة الكتاب هنا هي خدمتك في تحفيز الحكمة التي توجد عندك وتحملها الى الوعي وكل الردود التي تحتاجها موجودة داخلك أي في عقلك اللاوعي، والاي جنك هو أحد السبل الفعالة لحمل الردود الى السطح).

(٣٥) تطوير المهارات النفسية ص ١١٥

حينما نتحدث عن الجانب الاخلاقي في كتاب لا يقوم إلا على اشكال سداسية عددها ٦٤ شكلا تتكون من خطوط متصلة وخطوط منفصلة ولا يدعي الكتاب أي رسالة دينية، فان هذا الجانب الاخلاقي يقود إلى تقديم طقوس اشبه ما تكون بطقوس الديانات الاخرى البدائية ذات الطابع المقدس فالمقدس الاخلاقي في كتاب الاي جنك يمكن اعتباره مقدسا دينيا لدى الصينيين القدماء ةورغم انه لا يتحدث الا عن السماء والارض والاشكال والظواهر الناجمة عن تفاعلاتها وتقابلها بمنطق الين واليانغ الا ان الاحترام الذي يديه الصينيون للكتاب والطقوس التي يمارسونها قبل استشارته تعطيه معنى روحيا على الاقل ان لم يكن دينيا، وهذه الاستشارة المسبقة بهذه الطقوس الاخلاقية تعني فيما تعنيه ان المسألة ليست فنية أو حسابية أو هندسية فهذه العملية ليست اكثر من تقنيات المخاطبة للسؤال والجواب والاستشارة، والمسألة تتعلق بالغيب والغيب لم يكن يوما ما مسألة فنية أو تقنية في ذهن الإنسان القديم والحديث على السواء، لأن المجهول مخيف والخوف انفعال تجاه الموت

والخطر اساسا وبالتالي هذا يدخلنا في جانب الانفعال الديني تجاه المعبود
الاكبر القادر على كل شيء والمتحكم بكل شيء.

لكل ما تقدم نجد ان الكتاب أي جنك يتضمن مثل هذه الطقوس
والاخلاقيات لممارسة عمله التنبؤي يقول كلاي في مقدمته لاسلوب
التكهن عن هذا الجانب بان الانسان تالذي يتعامل مع الاي جنك إذا
كان يعتقد ان كتاب التغير مكون من ورق وحبر وطباعة بين دفتي
الكتاب فليس هناك ما يستطيع ان يقنعه بالعكس، اما إذا استخدم
الكتاب ليجلس فوقه أو ليسند عليه قدميه فالكتاب لن يشعر بمهانة كما
قد يفعل بروفيسور ما إذا ما تمت معاملته بنفس الطريقة . وفي نفس
الوقت قد يتردد رجل اخر يجد الكتاب مقنعا من ان يحرق البخور أو ان
يسجد على الارض قبل ان يبدأ بتوجيه سؤاله، الا انه في الشرق هذه
المراسم مقبولة من قبل الناس جميعا وإذا كنا لا نريد تطبيق جميع
التعليمات ربما لن نحصل خسارة الا ان تطبيقها قد يكون اكثر حكمة من
حذف بعضاً ويستمر كلاي في وصف طريقة معاملة الكتاب كما يصفها
الكتاب نفسه فيضيق عند عدم الحاجة إلى الكتاب يجيب ان نغلقه بقطعة
نظيفة من الحرير أو القماش وان نضعه على علو ليس اوطأ من طول

قائمة رجل واقف وعند استخدامه يجب علينا ان نغسل ايدينا وان نفتح القماش المغلف للكتاب بدون ان نرفعه منه لأن الاعتقاد السائد بان الاشياء المقدسة عندما تلامس سطحا غير نقي تفقد شيئا من فضيلتها وهذا الاعتقاد ليس عند الصينيين فحسب. على ان الكتاب كما يلاحظ كلاي يهتم بطرق الحصول على الرضا الداخلي والانسجام مع المحيط اكثر من اهتمامه بمساعدتنا على طريق النجاح المادي وخصوصا إذا كان هذا النجاح سيتسبب في مصاعب للغير أو سيؤثر على شخصيتنا بشكل سيء أو راحة بالنا، لذا فالاسئلة التي تخص كيفية الانسجام مع الظروف الخارجة عن ارادتنا ستلاقي استجابة وعونا اكثر من الاسئلة الموجهة نحو اكتشاف طرق للكسب المادي، وهذا يعني ان الجانب الاخلاقي حتى في موضوع الاسئلة موجود. وهذا لا يعني تجنبنا للاسئلة التي تخص التجار والمال لأن هذين العاملين يؤثران على حياتنا وحياة من نعملهم، ولك الرهان والقمار وسائر اساليب الفن المادي التي لا تخدم الغير هي غريبة عن روحية كتاب الاي جنك، ولهذا نرى ان المثقفين الصينيين المحترمين نادرا ما يوافقون على طرح مثل هذه الاسئلة اما المشعوذون فامرهم

مختلف وهمهم هو الكسب المادي ولهذا نرى اجوبتهم نادرا ما تكون ذات أهمية.

ومن هنا نرى ان الافضل في الاجوبة التي نلقاها على الاسئلة هي التي في الجانب الاناني قليل، ويتفق الصينيون المثقفون على ان كل سوء لاستعمال الكتاب لاغراض انانية يحتمل معه ان تقلص معه القابلية على الحصول على اجوبة وتفسيرها وترجمتها بشكل صائب ودقيق إلى حد بعيد للغاية.

ان القاء نظرة على الجانب الخلفي في اجوبة الكتاب حتى في النص الذي سبق كونفوشيوس وتعليقاته تشير إلى الصلة بين النوايا الكامنة خلف الاسئلة، حيث نجد انه نادرا ما يقول لنا الكتاب في نصوصه القديمة ان هذا سيحصل بالتأكيد بل تكون الاجابة بان هذا الشخص الافضل ينصح بان يفعل هذا الامر وان يمتنع عن القيام بهذا الامر وهكذا وصفة الافضل قيمة اخلاقية اساسية وحينما يحاول كلاي تفهم معنى الشر والجنس في كتاب لأي جنك على ضوء المدارس الثانوية التي لحقت به بعد ذلك وافكار (الزن) ويقارنها بمفاهيم الغرب المعاصر ها نجد ان الغرب يعتبر بعض الافكار والكلام والنوايا شرا يجد ذاتها في حين ان

البوذية والتاوية وكتاب أي جنك يعتبرون ان هذه الامور كنواتج لعدم الفهم وعدم الدراية وليس كناتج للشر، ويعتقدون ان الشخص المبارك بالمعرفة والشخص المتنور لا لجده يندفع نحو اذى الاخرين أو اذى نفسه فمعظم حكماء الشرق يأمرّون بقبول سعيد للحياة ويتنبؤون بالتعاسة لأولئك الذين يسبحون ضد تيار الظروف أو الذين يحاولون التدخل في عمل القوانين الكونية من اجل الحصول على مكاسب مادية لانفسهم، اما بالنسبة للجنس فالعلاقات الجنسية في الغرب تعتبر بالمسيحية شرا كبيرا في حين أن الفهم الصيني والشرقي عموما يجعلها ادعى إلى الرفض والتصنيف فحكماء الشرق الاقصى يعتبرون هذه العلاقات الجنسية سيئة إذا اثرت سلبا على احد الطرفين أو اساءت الى الاخرين وتصبح العفة امرا يتعلق بالاخلاق عندما يكرس شخصا ما حياته وجميع طاقاته إلى تحقيق الهدف الاسمى - الاستشارة واستيعاب تعاليم تاو أو أي تسمية اخرى هذه التعاليم، وهذا يعني ان الجشع وحب المال والتدخل في سعادة وسلام الاخرين امران لا يمكن جمعهما مع ابسط امور التقدم الروحي.

اذن وبشكل عام يجب على من يستخير أو يستشير كتاب الأي جنكان يكون بعيدا كل البعد عن الخداع والرياء وحب الذات والجشع

ويجب ان يتبع اسلوب حياة يخرج فيه الجشع تدريجيا مثلما يخرج الهواء من بالون.

اما التقنيات الفنية وطرق استشارة الأي جنك قديما وحديثا فيمكن القول انها على اربعة تقنيات أو طرق كما يتحدث عنها سمير سرحان في مجلة المعرفة حيث يقول (ليست هناك طريقة واحدة فقط لاستخراج السادوس الموافق للحالة المعروضة والمطلوب الاستشارة فيها، بل ان هناك طرقا مختلفة اولاهها وتسمى الطريقة القديمة تتلخص بتمرير قضيب من الحديد المحمى على درع سلحفاة ثم استخلاص السادوس من خلال قراءة الاخاديد المتكونة بفعل الحرارة، ولقد ذكرت كتب سلالة هان هذه الطريقة انما دون ان تورد كيفية فك الرموز لاستنتاج التكون الهندسي منها وتحديد السادوس المطابق. وثاني هذه الطرائق طريقة معقدة وصعبة وطويلة تستغرق اكثر من عشرين دقيقة اعتبرها الصينيون القدامى الوقت اللازم والفترة الضرورية لتقنية الذهن وتصفية العقل وتركيز الفكر وتحضير الخيلة قبل قراءة التفاسير ولذا سميت طريقة الحكماء، وتتلخص في تنقيلات فصدية وتحريكات عفوية لخمس ساقا من سوق نبات الخرنبل. وثالث هذه الطرائق طريقة بسيطة ويسيرة لذا فضلها

الناس على اخواتها فشاعت بين اكثر المستخبرين وتتلخص في رمي ثلاث قطع نقدية يعطي احد وجهيها رقما فرديا والوجه الاخر رقما زوجيا ست رميات متتالية تحدد كل رمية منها خطا من خطوط السادوس فاذا كان مجموع الرمية رقما فرديا يكون الخط متقطعا (ين) وإذا كان مجموعها رقما زوجيا يكون الخط متصلا (يانغ). واما الطريقة الرابعة فتتلخص لتعين السادوس وتحديدته بمجرد معرفة الحالة أو الاطلاع عليها وذلك باستلهم قرائن الوسط المحيط، النوافذ، الابواب، الكراسي وما شابه أو كشيئات الابواب أو الوسائل أو السجاجيد او ما شاكل كتجديدات الوجه أو اليدين او مامائل، وهذه الطريقة لا تتسنى سوى للضليعين في الأي جنك ولذا سميت طريقة الاقطاب وهذا كله مفهوم ومعقول لكن ما يحير العقول ويدوخ الرؤوس هو هذا السر الغريب الذي يجعل كلا من الطرائق تقع على السادوس الموافق والمطابق للحالة وليس على غيره، انه هذا السر الذي يجعل الرميات الست لضابط في الجيش جاء يستشير الأي جنك في مستقبله تقع على السادوس الممثل لزواج الابنة الصغرى وهكذا على الدوام، فاما الصينيون فقد قالوا بانه بما ان حركات وتغيرات السواديس تشكل بشكل سري حركات وتغيرات الكون فان هذا ناتج

عن تأثيرات كونية تسقط على كل من درع السلحفاة وحيوان الخنزير والقطيع النقدية وبعيدة القطب وذلك لان اصولها تنتمي إلى مملكة الطبيعة المقدسة فالسلحفاة تنتمي إلى مملكة الحيوانات المقدسة والخنزير ينتمي إلى مملكة النباتات المقدسة والقطيع النقدية إلى مملكة المواد المقدسة والقطب إلى مملكة البشر المقدسين كما ان كلا من هذه الكائنات الاربعة تمثل الانموذج الاعلى لمملكتها فهي مشتقة من نبع الحياة الذي يغذي وليس من مجراها الذي يتغذى ولذا فهي مقيمة في كل حياة النهر وهذا هو السر الذي يدعو التأثيرات الكونية إلى ان تسقط عليها وليس على سواها مما يجعلها تقع على السادوس الموافق وليس على غيره ةواما العلوم العصرية فتقول بلسان علم النفس الحديث بان هذا السر راجع إلى دافع الفعالية الكامن في خافية كل إنسان - اللا شعور - والذي يتحكم في ارتجافات واهتزازات يد المستشار في حالة اتباع الطرائق اليدوية وفي بعيدة القطب في حالة اتباع الطريقة الاستلهامية مما يؤدي إلى الوقوع على السادوس المطابق للحالة المعروضة فان الاعتقاد بالأي جنك هو الاعتقاد بالقوى الإنسانية التي تؤثر في الكون وتعمل في الطبيعة فتؤثر عليها وتغير العالم.

لا شك ان مراجعة الامكانيات النظرية لتشكيلات (الأي جنك) الاربعة والستون يقودنا إلى التفكير بطريقة حسابية أو هندسية، فاذا كان البالغ يمثل خطا متصلا والين يمثل خطا متقطعا وهما أساس تشكيل السواديس فلا نستطيع ان نشكل من هذين الشكلين الاحتمالين فقط هما بهذه الصورة -- فاذا ما زدنا خطا ثالثا اصبحت امكانية التشكيل كالآتي.



وهذه في الحقيقة كانت بداية الأي جنك ومن خلال تركيب كل ثلاثة فوق أو تحت مع كل ثلاثة تشكلت السواديس الثمانية الكبيرة. ان قاعدة ان عند اضافة كل خط سائد ينتج عددا مضاعفا من الاشكال فالخطين انتج اربعة والثالث انتج ثمانية والتركيب الكلي انتج ٦٤ شكلا هندسيا أما طريقة فهم الواضع الاصلي المفسر لهذه الاشكال التي ترجع إلى الملك وان فان التحليل يقود إلى اقتصاده على ٦٤ شكلا أو رمزا باعتبارها كافية تعبر عن موقفا أو ظرفاً يمضي من المواقف أو ظروف الحياة الانسانية فمثلا إذا مثل الشكل السداسي الارض في وضع علوي (اي على قمة الشكل السداسي) والسماء اسفلها فمن الممكن ان ينظر

إلى الاثنين كما لو كان أحدهما يضغط على الآخر بقوة تناظر قوة الآخر فتحاول السماء ان تتحرك إلى الأعلى وتحاول الأرض ان تتحرك إلى الأسفل فتوازن أحدهما الأخرى توازنا كاملا ولذلك اطلق على هذا الشكل السداسي اسم السلاح (الانسجام) ومن الجانب الآخر إذا كانت السماء هي العليا والأرض السفلى فسوف يتحرك الاثنان متباعدين في اتجاهين متضادين دون اتصال خلاق بينهما، وينظر إلى هذا الموقف باعتباره جهودا أو سكونا.

ويكشف هذا التفسير - كما يقول كولن ولسن - عن اننا نتعامل مع الدافع الخلاق للعقل الواعي ومع خاصية التلقي لللاوعي، ذلك حينما يتحرك هذان الاثنان متباعدين فالظرف القائم في الحقيقة هو ظرف الجمود الكامل لكل حيوية، وقد يبدو هذا شيئا مرتجلا وسطحيا ولا نستطيع ان اقول الا ان التعرف عن قرب على كتاب الأي جنك ورموزه سرعان ما يبدأ التكشف عن تماسك داخلي ملحوظ.

ان دور الحدس أو اللاشعور أو أي حاسة أخرى يمكن تلمس وجودها حتى عند القدامى في طريقة طرح السؤال وتحديه الجواب - يقول كلاي (سواء استخدمت عيدان التكهن أو القطع النقدية للحصول على الجدول السداسي الخاص بالاجابة فان الصعوبة الحقيقية تأتي فيما

بعد عندما نبدا بترجمة الرد على ضوء السؤال المطروح وجميع الظروف المحاطة به، النجاح يعتمد إلى درجة كبيرة على تجربتنا ولكن الضرورة الأساسية تكمن في سماحنا للحدس ان يلعب دورا كبيرا في المنطق التحليلي، وفي حين ان سائر المراحل يمكن اتقانها عبر التدريب الطويل نجد ان الحدس يتطلب الممارسة وشيئا من الموهبة ومع ذلك يجب اتقان الجانب الميكانيكي من التفسير أولاً.

ويشير كلاي إلى طريقة للتدريب عليه فيقول بان احد الاساليب لذلك الاتقان تكمن في فتح كتاب الأي جنك عشوائيا من حين لآخر ودراسة النص في ضوء سؤال وهمي بدون محاولة تطبيق الحدس وعند تحقيق شيء معقول من المهارة في هذا المستوى فالخطوة التالية هي طرح السؤال الحقيقي باستخدام عيدان التكهّن أو النقود وافساح المجال امام الحدس في ضوء الاجوبة.

ان بعض الناس سنجدهم توافين لأن يستخرجوا الاجوبة من الجداول السداسي وتكوينه مباشرة وبدون مساعدة النصوص والتعليقات المرفقة ومن اجل الوصول إلى هذه المهارة المتقدمة سيتطلب سنوات عديدة من التدريب وكتاب الأي جنك يشرح الخطوط بشكل تفصيلي

للمغاية تتعدى صفحاته الاف واكثر، انه ليس هناك ما يمنع احدنا ان نجرب اللعب في هذا النمط من التفسير، وربما هناك شخص موهوب فوق الاعتيادي سيجد بعض النجاح عبر هذه الطريقة .

اما الباحثة الباراسايكولوجية وذات الموهبة في هذا المجال انا هيد هوفمان فاننا نراها في كتابها التدريبي (تطوير المهارات الفنية) بعد ان تشرح طريقة استخدام الأي جنك حتى إذا وصلت إلى الاجوبة نراها تقول (عندما ترجع للنص لقراءة شكلك السداسي انتظر لحظة لتعميق حالة الاسترخاء والتأمل التي تم تحفيزها من خلال معالجة العملات (او عود البارن التي تعد الافضل) اقرأ النص بتان بغية الخروج بنتائج أو خلاصة منه وإذا كانت هناك اية خطوط (متغيرة) اقرأ النص الخاص والذي يتلاءم معها هناك مناطق يكون تطور الوضع فيها الاكثر تدفقاً وعليه فانها اكثر عرضة لنفوذك اجلس لوهلة مع التصورات والافكار التي قراتها تواء، وتمعن فيها وكانك تعيد حلما رايته عندما تجلى في الصباح بعد ذلك اكتب نتيجة ما اوحى اليك بوضوح قدر الامكان، وبغية استيعاب الأي جنك عليك اولا ان تضع اسئلتك بوضوح وتتمثل احدى هذه الطرق في طرح امية معينة ماذا تريد ان يحدث...؟ بعدها

اسأل عن حقيقة ذلك - أي أن ما تريده من الوحي هو الحقيقة حول ذلك الشيء الذي ترغب في حدوثه، تحتاج في بعض الأحيان إلى أن تتمعن في الردود ، وفي أحيان أخرى تكون الردود من الوضوح بحيث تجعلك تندهش لكن الأي جنك تمثل في كلتا الحالتين بشراً هائلاً من الحكمة العظيمة، إذ يصف مبادئ السلوك المبني على الحكمة على رغم اختلافاتها في التطبيق من وضع لآخر.

وخلاصة القول ليس هناك ردود في الكتاب، بل إنها توجد داخلك، ومهمة الكتاب هنا هي في خدمتك في تحفيز الحكمة التي توجد عندك وتحملها إلى الوعي... وكل الردود التي تحتاجها موجودة داخلك أي في عقلك اللاوعي والأي جنك هو أحد السبل الفعالة لحمل تلك الردود إلى السطح)). وإنما كانت الاستخارة في العصر القديم تركز على كلمة نعم أو لا فقط لذا كانت نعم تعني الخط المتصل باليمن ولا تعني الخط المتقطع اليمين، فإن هذه الخطوط تساوي مجموع النعمات ومجموع اللاتات التي يمكن أن يقال على أي ظرف استخاري أو استشاري ولما كانت ظواهر العالم كله تدور بين هذين الرمزتين وتفاعلهما يقود إلى الإقدام على العمل أو الاحجام عنه بما يناسب هذا التفاعل، ولغرض

تسبب بعض الاجابات وتوضيحها وتفسيرها للمستخير أو المستشير كانت الاضافات التركيبية لهذه الخطوط بعضها مع بعض وصولا إلى الشكل السداسي الذي يتحمل وجود ثلاث اجابات بنعم وثلاث اجابات بلا حسب الخطوط وفي تركيبه يعكس الموقف الاخير المنصوح به للمستشير.

فكأنما هذه الاشكال تعني اننا لو القينا ثلاث قطع نقدية متفق على اشاراتها السلبية والايجابية اليا نغ والين فان شكلا ثلاثيا واحدا سيغلب فيما إذا كانت النتيجة جمعه اكثر من الآخر فكل قطعة فيها نعم ولا والثلاث قطع تتحمل امكانية السقوط بست اشكال وكأنما هناك امكانية نظرية لالقاء القطع مرة واحدة والحصول على شكل ثلاثي الذي هو أساس المساواة أو التفريق الاتحاد أو الاختلاف غلبة شيء على شيء أو تساويها.

ان كولن ولسن حينما يحاول ان يفلسف نظرة الأي جنك إلى الإنسان ونظرة الإنسان إلى الأي جنك نراه يتحدث عن الحاسة التي فقدتها الإنسان ولم ينميها ومن قم فقر الإنسان إلى وظيفتها في الحياة اليوم وخاصة في مسألة النظرة الحكيمة المرتبطة بالزمن المقبل زمن المستقبل

يقول ولسن [انا نستطيع ان نمتلك (مسافات التقاط الانفاس) حينما
نتمكن من اتخاذ وجهة نظر بعيدة منفصلة عن الاشياء لقد كان البشر
جديرين بان يصبحوا كائنات اكثر قربا من الالهة لو انا نظرنا إلى ما
تعلمناه من لحظات البصيرة النافذة تلك باعتباره شيئا تتعلق به الحياة
والموت، ولكن اكثرنا يستطيعون الانسياق مع تيار الحياة دون اتخاذ
قرارات اخلاقية عظيمة وهكذا فان الجنس البشري لم يظهر أي تقدم في
مجال الحكمة عبر ثلاثة الاف عام، هذه هي النظرة المتبصرة العميقة التي
تكمّن في قلب كتاب (الأي جنك) انه بوسع الإنسان ان (يختار) الا يتبع
الجزء (الصغير) في نفسه، ان طريقة تاو ومنهجه منهج التواصل مع
قدراته اللاواعية عن طريق التركيز الدقيق على اشياء متميزة بعينها، يفتح
الطريق إلى مستويات تطورية اكثر سموا.

وكل من يقوم ببساطة بقراءة ودراسة كتاب (اي جنك) بينما هو
يفكر في رموزه وافكاره متجاهلا في الوقت نفسه قدراته باعتباره وسيلة
للتنبؤ والعرافة فانه سيدرك ان (هذا) هو اكثر مستويات معانيه عمقا
واكثرها كثافة، انه مثل الموسيقى التي تولد حالة من البهجة الكثيفة

الغامرة من الابتعاد والانفصال الداخلي من الحصول على (مسافة التقاط الانفاس).

ولا شك ان الاحتمالات الرياضية لتكوين الاشكال ومحدوديتها بعدد محدد تثير اشكالا مقابل التنوع اللانهائي للمواقف الإنسانية واحتمالاتها فكيف يمكن احتواء حالات لا نهائية في حالات محدودة ولكن يبدو ان المحدود عدديا لا يقيد المطلق مهما كان عدده، فالمطلق يبقى على اطلاقه رغم انه يولد حالات محدودة أو جزئية متكاثرة يقول سمير طحان [ان تكاوين الأي جنك الهندسية مع كل ما اسقط عليها من اشكال ومضامين فكرية على مر العصور ليست قوالب تقوالب الحالات اللامحدودة في حالات محدودة بل هي سبائك مصهورة تتقوالب تبعا لحشيات حالة المستثير وحيث ان المستثيرين عديدون فان هذه التكاوين مع كل اشكالها ومضامينها محدودة العدد حسايا الما لا محدودة تطبيقيا، انها منغلقة نظريا لكنها منطلقة عمليا، انها منتهية عدديا لكنها لا منتهية تعدديا في تعدد وتكاثر بقدر ما يتعدد ويتكاثر المستثرون وكما انه من المستحيل ان يتشابه كائنان قلبا وقالباً فانه من غير الممكن ان يتشابه تكوينان شكلا ومضمونا واذا انه من غير الممكن ان تتماثل حالتان عرضا

وجوهرا فمن المستحيل ان يتماثل تفسيران ظاهرا وباطنا، هذه اللانهاية واللامحدودية هي التي جعلت من الأي جنك منجما للطرائق السحرية وهذه الكمولية والشمولية هي التي صيرت منه حقلا للعقائد الدينية وهذه الجوهرية والمطلقية هي التي اقامت منه حظيرة لتدجين وتهجين المذاهب الفلسفية وهذه الانسانية الكونية هي التي حولته الى مخبر للتجارب العلمية وكل هذه مجتمعة بوائه سدة اهم كتاب ادبي ظهر في التاريخ، فالتاريخ لا يذكر كتابا ادبيا وضعيا بشريا غير منزل أو ملهم أو موحى به اهيا كالأي جنك كان له وما يزال حتى الآن مثل هذا التأثير الكبير على المستوى الفردي والجماعي والعام إذ ان الأي جنك شغل اهتمام كل الفئات من مثقفين واميين وسحرة ومشعوذين ومتدينين وملحدين وفلاسفة ومتفكرين وعلماء وجهلاء سواء بسواء].

ان استخدام الأي جنك لفردة التأثير المتبادل والتفاعل في الكون بين كل من السماء والارض وما فوقها ومهما كان هذا التأثير صغيرا فلا يمكن انكار وجوده، هذه المفردة نجمدها في حديث علماء العصر بشكل ادق يقول جان باري [علمتنا الفيزياء ان جسما ما لا يمكن يكون شيئا متوحدا أو منعزلا داخل الفضاء فالجسيم يمتلك حقولا الكترونية سكونية

حوله، وكذلك حقولا جاذبية، وحقولا مجهولة أيضاً تمثل إلى ما لانهاية، وتكون متضامنة تماماً مع الجسم ذاته. قال اينشتاين : ' ان الجسم ما هو الا منطقة (اكثر كثافة) من اي حقل يمتد عبر الكون ومهما كان بعده) وبطبيعة الحال فان الفعل يكون اقل عندما تزداد المسافة، إذ لا يكون الفعل معدوماً تماماً لهذا السبب، لكن أي جسم من جسيمات الكون يؤثر أيضاً على البروتون ويقل التأثير بشكل سريع مع المسافة وهذا لا يعني ان لا يكون له تأثير مطلقاً والنتيجة فان البروتون المقصود يؤثر على الذي يكون خارجاً عنه مثلما الخارج عنه يؤثر فيه وعلى الدوام ورغم كل شيء هناك ارتباط بين الواحد مع الكل، وينطبق هذا المفهوم على الإنسان أيضاً، فالإنسان هو امتداد مشترك لكون بأسرة فله علاقة دائمة مع الفضاء الذي يحيطه لكن لحد هذه اللحظة لم نستطع معرفة ما هي تلك العلاقة وضروراتها ونعرف حالياً - وهذا مهم جداً - انها موجودة وانها يجب ان تؤثر على السلوك البشري وهذا التأثير بطبيعة الحال هو تأثير جسدي نفسي فالجسد يستلم ويخضع للقوة الارضية والفضائية دون امكانية ان يعزل نفسه عن النفس بدورها تستلم معلومات حواسية وهو ما نطلق عليه الاحساسات الفائقة، لكن النفس لديها

قدرات على مستوى الشعور، إذ يتوجب استكشافها ودراستها وعزلها عن داخل الجسد، والنفس ايضا يمكنها ان تسقط ذاتها على لا نهائية الاصلاح والحقائق الفضائية للازمنة الماضية والمستقبلية فالفكر يسبق الفعل وكل ما يمكن تصور سيتحقق يوما ما على هذه الارض.

ان جان باري يضيف مستنتجا [في الحقيقة لاوجود للصدفة في عالم حيث يكون كل شيء متفاعلا ولا يوجد فيه سوى مشاركين... لقد وصلنا إلى اللحظة التي يمكن ان نؤكد فيها ان العقل يعد علبة من الموجات والجسيمات اذن فالفكر يمكن ان يؤثر عن بعد، او ان يكون على علاقة دائمة مع موجة - جسيم اخرى مشابهة فاذا اصبح احدهما حاملا للمعلومات فان الآخر سيعلم في الحال مهما كانت المسافة الفاصلة بينهما، لقد اقترح عملاق الفيزياء الكمية فارنر هايزنبرج وجود شيء فوق مادي قادر على الوجود ذاتيا وان يتحول الى مثل هذه أو تلك الجسيمات الاولى "وبعد ان يذكر باري التناقض المعروف بتناقض اينشتاين - روزين حول الجسيمات المتخاطرة أو تبادل المعلومات بين شعاعين كانا متضامين وافترقا فالذي يؤثر على الاول يتاثر به الثاني رغم بعده عنها بالآف الكيلومترات بعد هذا يعود باري الى للاستنتاج

(وهكذا فان الاونيشادات ونظر والأي جنك الصيني "التنبؤ بواسطة العيدان" فالعيدان بسحب ما تكون - مفردة أو مزدوجة - تؤدي عنصرين من علامة، وكل علامة مؤلفة من ستة عناصر ثمة اذن ٦٤ علامة في نظام الرموز الخاص بهذه العرافة، وتمتلك كل علامة معنى محددًا أو بطبيعة الحال يجب ان نعرف ما هي تلك المميزات التي يعملها كل ذلك والتعرف على جزء من الحقيقة التي نعرث عليها هناك.

ولو ربطنا هذا النص بتأكيد باري الآخر وهو [ان الإنسان يكون مزودا بشكل طبيعي بإمكانية التنبؤ بتطور الاشياء في المستقبل وهو يستخدم عقله لذلك إذ سيدله بشكل دقيق أو حدسي عما سيحدث انطلاقا مما هو كائن، ولكن هناك أيضاً التجربة الميتافيزيقية التي تفهمنا ان الكائن البشري الذي يتخلى عن اية وسيلة استدلالية ظاهرة، يكون قادرا على ان يعي ما سيحدث دون الاعتماد على ما هو كائن في الاقل حين نتناول هذا التعبير بمعناه المألوف (حيثذ يقصد بالامر طريق حي مسبق أو طريق احساس داخلي) فمنذ بداية الامر كان هناك الكثير من الادلة التي تقودنا إلى اعتقاد ان الامر يتعلق بخيالات اعتباطية لكن - وهذا بعد تكملة لما تقدم إذا صح القول - ربما يكون مفيدا ان نذكر ان الفعل

النفسى الحركى لدى شخص ما يمتد إلى اهداف متباينة تماما وبالتحديد من دون استخدام أي اسلوب خاص بجسده ذاته، ويكون قادرا على ايقاظ قوة محرّكة حقيقية لا ارادية لدى امثاله ان هذا معناه ان اللاشعور أو أي تسمية اخرى باراسايكولوجية يستحق استمثاثا للوصول إلى قدرته التنبؤية ولا شك ان الأي جنك هو من الطرق التي تحدث عنها باري.

وفي نهاية هذا الامر لا يسعنا الا ان نستفيد من ملاحظة سمير طحان المتعلقة بالحكم على نتائج الاستخارة لأي جنك حيث يقول (ان استخلاص الحل أو عدمه لا يتوقفان على الأي جنك لأن الحلول فيه كثيرة ولكل مرحلة حكمها ولكل حالة لبؤسها وانما يتوقفان على القدرة الذهنية والقوة الفكرية على استكناه الحل للمستخير تماما كما ان سعة الرؤيا أو ضيقها لا يتعلقان بالفضاء، فالافاق بعيدة والسماء منقشعة، وانما يتعلقان بقوة الابصار فعلى ما يدل دلوه في بشر الأي جنك فيخرج دلوه فارغا ان يعلم بان هذا غير عائد ولا يدل على جفاف البشر وانما هو راجع ودليل على قصر حباله لأن الأي جنك يريك ما فيك ، فاذا كنت ضحلا لمجاك من الضحالة ونقلك إلى الاغوار لتعمق واما إذا كنت عميقا فانه يوصلك إلى القيعان لتعمق والحكيم هو من يعمق ويتعمق).



لا شك ان كثيرا من الباحثين الغربيين والعلماء التجريبيين ينظرون إلى كتاب الآي جنك على انه كتاب فال قد يصيب ويخطيء، وقد ينظرون اليه على انه نتاج الإنسان اللبدائي وتطلعه لمعرفة الغيب وديانته وطقوسه السحرية الساذجة الغامضة لذا فقد يسخرون ممن يتحدث عن هذا الكتاب بجدية وهذا ما صادفه العالم النفسي الكبير يونغ حينما تحدى العلماء واعلن ايمانه به وكذلك بعض مترجمي الكتاب إلى اللغات الاخرى، ومن الطبيعي ان يقف هؤلاء الباحثين والعلماء المعارضين له موقف السخرية ممن يستشيرون الكتاب ويهتمونهم بالتخلف واللاعقلانية بسبب عدم وجود تفسير علمي يمكن الاستناد عليه في تفسير عمل هذا الكتاب، فليس هو كتاب فلك و تنجيم ليتمكن القول بان هناك تاثيرات لحركة الافلاك ومواقع البروج على حياة الانسان وليس هو كتاب سحر ليتمكن تفسير قابليته الغامضة بغموض السحر نفسه وليس هو رياضيات أو اعداد تبنى عليها حسابات كحسابات الفيشاغورس أو من يقدس الارقام المعينة ويعتقد فيها الخير او الشر ولا يمكن ارجاع الآي جنك إلى الفراسة أو قابلية نفسية أو لا شعورية فهو

يتحدث عن حركة الطبيعة وانعكاسها الموضوعي على الحياة عموماً والحياة الفردية خصوصاً.

ولو حاولنا ان نعدد كل اساليب التنبؤ بالغيب والاستخارة فانا لن نجد لهذا الكتاب شبيها سوى في صفة واحدة يجتمع به الكتاب مع السحر والعرافة والكهانة والطقوس التنبؤية للاحلام وقراءة جلود وامعاء الحيوانات، هذه الصفة هي الغموض وهي صفة لا تفسر لنا شيئاً ولا تضيف إلى اسرار الغموض جديداً.

ولكن مع كل هذا المنطق العلمي والنظرة العلمية المتفحصة فان كل ما تعامل مع الكتاب وامن به لا يجد دفاعاً تجاهه سوى القول جرب واحكم اسأل الكتاب واسمع الجواب فان وجدت حقيقة وان لم تجد وهو غير ممكن فلك الرفض.

ولعل كل ممارسات التفكير العلمي لن تستطيع ان تجابهك لحقيقة اليوم اقوى من حقيقة التجربة فالتجربة التي لا يمكن تكرارها من قبل كل العلماء لتصل إلى نتائج مضامينها لا تعتبر تجربة علمية، اذن فكتاب الآي جنك خاضع للتجربة وتكرارها والوصول إلى النتائج المطلوبة من ثم

الحكم على مصداقيته من خلال التطبيق العملي والممارسة الواقعية لما يفترضه.

ان عدم ادراك وفهم سر هذا الكتاب والالية التي يعمل بها في تنبؤه تسقط حين من خلال التجربة ليعود الكتاب فيتمها بالجهل حيث اننا لا نستطيع ان نفسر هذه الالية بمنطقنا العلمي المتقدم و بحاسباتنا ورياضياتنا العالية وقوانين الصدفة الرياضية اذن فالكتاب يتحدى كل علماء العصر بمختلف تخصصاتهم ان يعرفوا سره ويكشفوا غموضه بناء على كل ما توصل اليه العقل العلمي التجريبي المعاصر، ولاشك ان منطق الكتاب هو منطق العلم المعاصر نفسه لانه يتحدث بالتجربة والممارسة الواقعية المتاحة لكل من يساله رغم انه لا يفسر لنا عمله وكيفية وقدرته عن الجواب الصحيح على السؤال الصحيح.

ان هذه القوة التجريبية هي التي جعلت يونغ يؤمن بالكتاب وهي التي جعلت كلاي وولتهام يترجم الكتاب بعد خوف شديد منه وهي التي جعلت ريتشارد وولهام يقى عشر سنوات لترجم هذا الكتاب با حثا عن اسراره دون الوصول إلى قراره.

ولنستعرض بعض تجارب هؤلاء العلماء وغيرهم والمشاعر التي كانت تنتابهم حينما يمارسون استشارته خفية خجلا من ان يوصف بالتخلف واللاعقلانية من زملائهم العلماء وصولا إلى الخروج على العالم بترجمة وافية له ومواقف تعلى على الملا دون خوف أو خشية.

حينما يعرض كلاي وولتهام تجربته مع الكتاب قبل ترجمته ومحاولة تفسير نصوصه يعرض هذه المسألة بتحدى امام العلماء الذين يصفهم بقوله [اما الغربيون فيسخرون منه ولا يصدقون بمحتواه لانهم لم يخضعوا لاختبار، وليست لدي وسيلة افصح بها هؤلاء الا بالطلب منهم أن يخضعوا قواه بكل اخلاص للاختبار].

ويصف كلاي مشاعره وهو يشير الكتاب قائلا [صعقت بالمشاعر غير الاعتيادية التي تولدت داخلي من جراء استشارة هذا الكتاب وهي مشاعر تصب باتجاه ان اسئلي ثم التعامل معها وكأن انسانا حيا يجب ويستجيب يملك بشكل كامل الحقائق غيرالمباحة في كل من السؤال والجواب في البداية تكون المشاعر مخيفة وحتى الآن اجد نفسي اتعامل وانقل الكتاب وكان له مشاعر قادرة على الغضب إذا ماتم التعامل معها

بغير احترام اما كيف لمجح هذا الكتاب في اعطاء اجوبة تولد هذا التأثير في النفس فلا اعرف] .

ويصف كلاي المرة الاولى في لاستخدامه بقوله [ومن المرة الاولى التي قمت بها بذلك صعقت وشعرت بالخوف وكاني اتسلم اجابتي من إنسان يتنفس وليس من كتاب] وكلما استخدمت الكتاب بعد ذلك انتابني ذات الشعور الاول، ولكن الخوف تحول إلى ترقب مشوب بدقات عنيفة للقلب وانا لا اقصد هنا ان الصفحات البيضاء المغطاة بحبر اسود تأوي داخلها روح حية وقد ذكرت الفعل المدهش لهذا الكتاب لاركز على الدقة المتناهية والشخصية في اجابات هذا الكتاب في معظم الحالات ولكن لو طلب مني ان اؤكد ان الصفحات المطبوعة لا تحوي روحا أو على الاقل تجعلنا نتصل بروح من خلال عملية غامضة ساجد نفسي في حيرة من امري وغير قادر على ان اؤكد سلبا أو ايجابا.

لقد اجرى كلاي ثلاث تجارب على الكتاب قبل ان يؤمن به في المثال الاول سال بشكل صحيح واجاب عليه بشكل صحيح في حين ان المثالين الاخرين يبينان الطريقة الفكاهية التي يردع بها الكتاب الاسئلة غير الصحيحة بحذ ذاتها او المطروحة في ظروف غير صحيحة.

لقد بدا اهتمام كلاي بالكتاب في نهاية عام ١٩٦٢ وفي الوقت الذي بدأت فيه العداءات بين الهند والصين في منطقة الحدود التبتية وقبل مرور مدة طويلة صارت الصحف في بانكوك حيث كان يعيش انذاك تتكهن بان الحيوش الصينية سوف تستمر في تقدمها السريع وتنزل سهول الهند وربما تحتل مدناً رئيسية هناك وهناك قبل ان يستطيع اصدقاء الهند ان يتقدموا لنجدتها، الا ان الرأي المعاكس لم ينشر في الصحف التي اطلع عليها كلاي. ولانه كما يقول كان سعيدا في كلا البلدين الهند والصين وكانت مشاعره مع الشعبين وجد نفسه منزعجا للغاية . وهناك جاءته فكرة استشارة كتاب اي جنك لأول مرة، ويقول بان الجواب كان مناقضا تماما لتكهنات سائر الناس إلى حد جعلني ادون الاجابة كلمة بعد كلمة كوثيقة ، لقد اجاب الكتاب ان جيشا في التلال - الصين - كان يطل على سهول فيها اهور - الهند - فإذا كان قاداته حكماء يجب ان يوقفوا هجومهم يوقفوهم في اللحظة التي يكون كل شيء فيها يسير على ما يرام بالنسبة لهم وان يمتنعوا عن التقدم وربما الانسحاب مع بعض الاماكن... والمفاجاء ان هذا ما حدث بعد مضي اسبوع أو اسبوعين بالضبط.

لقد قدم كتاب الآي جنك اسبابا لهذه النصيحة منها ان خطوط المواصلات طويلة وبعيدة عن الامان والسلامة وان الخصم الهند سيتلقى مساندة قوية من الاصدقاء وان القيمة الاخلاقية للتوقف عن الهجوم والتقدم قبل ضرورة التوقف عن الهجوم والتقدم ستكون اعظم على المدى البعيد من انتصارات عسكرية جديدة هذا بالاضافة إلى عدة اسباب اخرى، ويتذكر كلاي ان كل نقطة من هذه النقاط تم مناقشتها في الصحف التي راحت تحلل خطوة الصين غير المتوقعة، ويذكر دهشة اصدقائه عندما عرض عليهم ما كتبه قبل الصحف. وإذا ما قيل ان دقة الاجابة تعود إلى ترجمته الدقيقة للكلمات الفعلية تحت الجدولين السداسي والخطين المتحركين ضمنها فان الاجابة تكون انه لم يكن اصلا يتوقع أن يطلب الصينيون التوقف للاسباب المنطقية خلف ذلك لذا فليس هناك توقع لوضع نفسه في موضع الحكيم المتوقع. لقد كانت اجابة الكتاب في الجدول السداسي رقم ٤٨ زائد خطوط متحركة في الموقع الاول والثاني من الجدول بالاضافة إلى الجدول السداسي رقم ٦٣ والذي ينتج عندما يتحرك الخطان ويصبحان نقيضهما.

اما كيفية تحليله للمعطيات فيقول بان الجدول السداسي ٤٨ يمثل
بئرا ومعلوماته الشخصية حول الحلود الهند وتبتية حيث ينزل سفح
الهملايا بقوة نحو سهل الهند الشمالي ادى إلى اعتباره الهند البئر و الصين
هي التي تنظر اليها من فوق. ومن ضمن الجدولين الثلاثين نجد احدهما
يعني (طفيف) والآخر (ماء) فاعتبر الماء محتوى البئر (سكان الهند) واعتبر
طفيف المعبر الحقيقي من سياستهم المعلنة في الاستبعاد عن العنف والسير
على الحياة وعليها افتتح ان البئر فعلا يمثل الهند وما جاورها باستثناء
الحلود مع الهملايا، اما التعليق المرفق بالجدول السداسي فكان يحوي
ثلاثة افكار منطبقة على حال السؤال، فكرة تقول ان البئر لن يزيد أو
ينقص منه شيء وهذا يعني ان الهند لن تفقد المزيد من الاراضي والفكرة
الثانية تقول ان الجبال قصيرة وهذا يعني ان الصينيين لا يستطيعون ان
يمدوا خطوط المواصلات اكثر خوفا من انكسار (انائهم) وهذا يعني
احتمال تعرضهم إلى خسارة رئيسية وبعدها تفحص التعليقات التي تخص
الخطين المتحركين (الخط الاول والخط الثاني) فكان التعليق على الخط
الاول ان المزيد من التقدم الصيني لن ينجح وان الوقت قد حان للقيادة
الصينية ان تتوقف مثلا أو تسحب قليلا اما التعليق على الخط الثاني

المتحرك فيشير إلى انه بالاضافة إلى السبب الاول في ضرورة التوقف وهو سبب تكتيكي هناك سبب استراتيجي أو سياسي وهو عدم قدرة الصين على كسب ود جيد من سائر الدول العدو أو الصديقة أو المحايدة اما التعليق الاساسي في الجدول السادسي رقم (٦٣) فقد اكد الاستنتاجات التي توصل اليها كلاي حيث جاء في الجملة الاخيرة (من الواضح ان الخط سيخالف البداية ولكن في النهاية ستتوقف عند انسحاب المباركة الالهية) وهذا يعني ان تقدم الصينيون بدون مساندة معنوية سيؤدي إلى كارثة.

لقد كانت هذه الاستشارة الاولى والاختبار الاول للكتاب من قبل كلاي حيث فوجيء مفاجئة كبيرة لأن الجواب كان غير كل كما كتبه الصحف وما اعلنته وتوقعته وسائل الاعلام وكان جوابا واضحا عسكريا مبررا بدقة وهنا فكر كلاي ان يترجم الكتاب وتنبؤاته واخذ الزهو بنفسه فاراد ان يسال الكتاب هل هو مؤهل لهذا الغرض كترجم وهل يستطيع ان يؤثر على اصدقائه المؤمنين لهذا الكتاب من خلاله فكان جواب الكتاب : هل تعتقد بان لديك هذه المواصفات وجاءت الاجابة

كصفحة مؤلة وكانها قد جاءت كما يقول كلاي من شخص احترمه واحترم رايه.

اما اختباره الثالث فكان في وسط كله يسخر من الكتاب وارهه وكان هو ومجموعة اصداقائه في بيته يشربون الخمر فلم تكن هناك الجدية الاخلاقية المطلوبة ولهذا كان جواب الكتاب يدعو إلى السخرية من السائلين يقول كلاي (من ذلك تعلمت درسا ان كتاب التغير الاي جنك ليس بكتاب بكتاب للتسلية أو الاستخفاف وهكذا وضع شروطا اخلاقية لاستشارة الكتاب ومعاملته با حترام.

أما الممارسة الواقعية الثانية التي نذكرها فهي للكتاب الباراسايكولوجي ستان كوش الذي يصف الكتاب بانه (بيان غير علمي للقوانين التي تحكم حاضر ومستقبل حياة كل فرد على هذا الكوكب ويبدو ان مؤلفي هذا الكتاب باستخدامهم الحدس الذي يبدو أن لا علاقة له على الاطلاق بالعلم والموضوعية توصلوا لمعرفة القوانين والعلاقات التي تحكم سير حياة الفرد على كوكبنا وطبعوا يبدو ذلك مستحيلا ولكن الدليل يكون بالتجربة).

اذن فالعلماء مجتمعون على ان التجربة هي خير دليل لفحص مصداقية هذا الكتاب ويضيف ستانكوش انه يمكن الحصول عن طريق هذا الكتاب على تحليلات مفصلة لمشاكلك الحالية وعن كيفية حلها وتحليل وتفسير الحوادث المستقبلية التي تحددها انت اما التحليلات والتعليقات التي يمكن الحصول عليها من كتاب اي جنك كي يقول كوش فهي ليست لباسا يمكن تشكيله أو تكيفه كيفما شاء فالكتاب يقدم لك تعبيرات خاصة وكأنها نفس التعبيرات التي تستخدمها انت بنفسك وكما هو الحال بالنسبة للشيء الخارق فانه ليس هناك امل في اقناع أي شخص بتجربة شخص اخر إذ انه من الضرورة تجربة الامور بنفسك اولاً.

ويضيف كوش ان وجود مثال أو مثالين يمكن ان يضيء الطريق امامنا احد تلك الامثلة التي قدمها له الدكتور مانغريد لوكارد صاحب القوة الخارقة المعروف دولياً. حيث كان الدكتور مانغريد لوكارد ينتظر هو وبعض اصدقائه في بيت خاص بانتظار أحد المحاضرين الذي كان سيتحدث اليهم عن بعض المواضيع الخارقة ومضى الوقت المحدد لحضور المحاضر الا انه لم يحضر ولم يرن جرس اهاتف ليعلمهم عن سبب غيابه ومن اجل تمضية الوقت اقترح الدكتور (لونكارد) ان يوجه الاسئلة

لكتاب (أي جنك) عن سبب هذا التأخير وعند ان وجهوا سؤالهم للكتاب حصلوا على الاجابة التالية 'البغل عنيد البغل لن يذهب وبالصدفة وصل المحاضر وبعد وصوله إلى الباب اعرب قائلاً 'ذلك البغل اللعين للدراجة النارية اسقطني ارضا وبعد ان ضحك الجميع وشرحوا له الامر قال المحاضر انه لم يسبق لها بدا ان اطلق اسم البغل على دراجته وقد روى ستان كوش هذا المثل الواقعي عن الآخرين

اما تجربته الشخصية فيقول المثال الاكثر غرابة انني فمت باستشارة أي جنك حول وضع عملي الحالي الذي كنت أمقته كثيرا اخبرني الكتاب بان عملي سوف لن يتغير ولن يحدث أي شيء انا بانتظاره وكما هو الحال بالنسبة لجميع الامور حدث مثل ما ذكره الكتاب بالضبط ولكنني يقول ستان كوش لم ارغب تصديق حكم أي جنك وخاصة في هذا الامر بالذات وفي خضم غضبي واستيائي حدثت نفسي انه عسى ان يكون ما ذكره الكتاب ليس له معنى أو شيء من الصحة وافنعت نفسي متحججا انه كيف يكون هذه الكلمات المطبوعة في كتاب قديم جداً ان تحدد لي مستقبلي أو خاصة مستقبل لا ارغب به؟ وعدت لاسال الكتاب من جديد؟ ما هو مستقبل عملي الجديد ورميت النقد المعدنية مرة اخرى

وحصلت على القراءة التالية : الصبر على العمل يجلب الحظ السعيد واعطاني محاضرة عن فوائد الصبر وفي مناسبة اخرى في (موضوع صعب الحكم عليه) حصلت على قراءة من الكتاب بدت لي غير ذات معنى وغير مناسبة اطلاقا وايقنت في ذهني انه ربما حدث خطأ في بعض مراحل سؤال الكتاب وكررت العملية مرة اخرى الا اني حصلت على نفس الاجابة بالضبط الا انني لم اقتنع مرة اخرى وبعد مدة جربت مرة ثالثة الا اني حصلت على القراءة التالية (اذا كان السائل لجوجا ويعيد السؤال عدة مرات فان الوحي يرفض الاجابة على اسئلته وهنا ما يثير ستان كوش مسألة طالما ناقشها اكثر الذين استشاروا الكتاب فيقول وهنا خامرني الشك هل ان كتاب أي جنك كائن حي؟) ويروي ستان كوش تجربة واقعية اخرى عن استشارة الكتاب ففي عام ١٩٧٦ ارسل الي نسخة مترجمة من كتاب اي جنك من دار للنشر التي يعمل لديها كفاريء مستشار، ففي باديء الامر يقول كوش كنت اشك في هذه النسخة ولكنني عندما امعنت في قراءة هذه النسخة المترجمة ترجمة (ريتشارد ولهام) ازداد شغفي في هذا الكتاب وجراء ذلك اوصيت بنشرة بعدها خطرت لي فكرة، لماذا لا اسال كتاب اي جنك عن النسخة المترجمة ترجمة ريتشارد

ويلهام ما رايه بهذه النسخة؟ رميت العملات النقدية الثلاثة وحصلت على رقم ٤٨ والذي اشار الى اسم اي جنك الجيد وهذا يعني ان الكتاب ذكر لي نعم انا اي جنك الحقيقي والرقم الثاني الذي حصلت عليه هو ٤٦ نبتة جديدة للنضوج. وعند هذا الحد قلت لنفسي ما هو الجواب الاكثر افناعا من هذا... وقررت نشر النسخة مرفقة بتقرير كتبته ذاكرًا الحوادث التي ذكرتها اعلاه.

وهكذا يلخص ستان كوش إلى ان التركيب الداخلي للكتاب يبقى سرا غامضا بالنسبة له، الا ان الهيئة الخارجية للكتاب يمكن ان توصف بانها سلسلة من النماذج على هيئة خطوط متكاملة واجزاء متقطعة ولكن هذا لا يفسر أي شيء عن كيفية عمل الوحي في هذا الكتاب، ويبدو لي كما يقول كوش ان للصينيين القدماء حكمتهم الموثوق فيها ويطاقاتهم الاليمائية القوية بحيث تمكنهم ان يقولوا وبكل قوة ان ذلك كذلك وانه لكذلك فعلا.

ويعتقد كوش ان بإمكان أي شخص ان يوجه الاسئلة إلى (اي جنك) اذا ما طبق قوانينه وقواعده بشكل مضبوط، اما قوانينه الأساسية

فهو توجيه السؤال مرة واحدة فقط والجواب الذي نحصل عليه هو الجواب الصحيح.

أما النموذج الثالث من الممارسات الواقعية للعلماء والباحثين في الآي جنك فهو كولن ولسن ولا شك أن باحث موسوعي بالظواهر الخارقة والخفية يذكر ولسن في كتابه الإنسان وقواه الخفية تجربته مع الآي جنك فيقول [أما عن تجربتي الشخصية مع كتاب (آي جنك) فإنها بالتأكيد قد دفعني إلى التعامل معه ربما باعتباره أكثر من تلك الأعمال وابلغها أثرا . لقد صادفت هذا الكتاب لأول مرة في تلك الفترة التي تحدثت عنها من قبل بالفعل حينما كنت أسكن في ويمبلدون. ومن الواضح أن أول ما قد يطمح كاتب مبتدئ أن يستشير الوحي بشأنه هو مستقبله بوصفه كاتباً أنه يطلب (نبوءة بعيدة المدى) أخذت ثلاث بنسات والقيتها إلى الأرض ست مرات وفي كل مرة كانت هناك غالية من الرؤوس مكونة شكلاً سداسياً صنع من ستة من خطوط يانغ وهو السداسي الأول في الكتاب الذي يصحبه حكم يقول : يصنع المبدع النجاح السامي، فيمعن عبر البقاء والحفظ مصوناً وفي مئات المرات التي استشرت الوحي فيها منذ ذلك الحين لم تخرج لي قط العملة الثلاث أبداً

بسته رؤوس مكتملة، ومن الواضح اني كنت مدفوعا الى الاقتناع، والمرة الوحيدة الاخرى التي رايت فيها قطع العملة الثلاث وهي تسقط بهذه الطريقة كانت حينما قام الكاتب بيل هوبكينز لأول مرة باستشارة الوحي، قال بوقاحة ونزق: إذا خرج بحكم جيد سوف اؤمن به اما إذا لم يفعل فلن اؤمن وانجز الوحي ما كان يتوقع منه فخرج السداسي الاول مرة اخرى انني لا اذكر بوضوح سوى مثال واحد اخر فحسب لدقة الكتاب منذ ذلك التاريخ فقد حدث في ويمبلدون ان استشرته بشأن الرجل العجوز الذي كنا نعيش معه، الذي كان رجلا يتقلب بين الجاذبية الساحرة اللطيفة والخشونة البالغة، وكان السداسي الذي حصلنا عليه وهو صانج أي الصراع مع حكم يقول : الصراع و انك مخلص. تعترض طريق العقبات، وقفة حذرة في منتصف الطريق تجلب الحظ الحسن، انها لا تدفع المرء إلى عبور المياه العظيمة ' وقد دليني هذا على ما كنت ابغي معرفته بالتحديد، وهوان كان ينبغي علي ان ابرح ذلك المكان بأسرع ما يمكن أو ابقى فيه ' وقفة حذرة في منتصف الطريق تجلب الحظ الحسن، الانطلاق إلى النهاية القصوى يجلب سوء الحظ، لم يمكنني ان احس ماكان القصد بالاشارة إلى (الرجل العظيم)، ولكن النص يوضح ان

الرجل العظيم لا يشير الا إلى ' رجل نزيه مجرد من الهوى، تبلغ سلطته حدا كافيا من الضخامة لانتهاء الصراع ' وكان الرجل الوحيد الذي نعرفه من هذا النوع هو شقيق المريض الذي تشرف زوجتي على تمريضه، وبناءا على ذلك قمنا باستشارته وشرحنا له المشكلة ولقد نجح حقاً في تلطيف الامور لمدة قصيرة، اما بالنسبة لعبور المياه العظيمة فاننا كنا نفكر في الانتقال عبر نهر التعير عائدين إلى شمالي لندن حيث كنت اعمل، واثبت الوحي انه على صواب في هذا الصدد أيضاً فقد ساء الموقف بسبب انتقالنا إلى (ايرلس كورت) بعد موت الرجل العجوز. ولكن السطر الاخير كان هو اكثر ما اثر في هذه المناسبة بالذات، كنت قد حصلت على ثلاثة رؤوس من قطع العملة الثلاث، وعلى ذلك فقد كان معنى التعليق المطبق على هذه الحالة تسع مرات عند القمة هو حتى إذا ما وهب المرء - بالصدفة - حزاما من الجلد فانه عندما يقترب الصباح من نهايته سوف يكون قد انتزع منه ثلاث مرات وكانت واحدة من اكثر عادات الرجل العجوز اثارة لحنفي هي ان يمنح زوجتي بعض الهدايا حينما يكون رائق المزاج ثم يستعيدها مرة اخرى بل وقد يمنحها لشخص اخر.

ومن الواضح ان السطور المذكورة في كتاب الاي جنك انما تشير إلى عملية منح المرء وساما من جانب الملك فقد كان الحزام الجلدي مقابلا للوسام أو للنوط ولكنه تطابق مع موقفنا بالتأكيد.

واذا كان لنا ان نستعرض كل الممارسات الواقعية لدى العلماء في كتاب الاي جنك فاننا نحتاج لمساحة كبيرة ونكتفي الآن بذكر يونغ الذي هو اشهر من درس الكتاب على ضوء علم النفس وطرح مفهوم التزامنية كتفسير لعمله - حيث وصف يونغ - في مقدمته لكتاب الاي جنك المترجم انه استشاره في طبعته الجديدة التي كان سيقدمها للعقل الغربي وكانت اجابة الكتاب هي تينج أي الرجل وهو الذي يصفه التعليق بأنه قارب في للطقوس الشعائرية يحتوي على نوع روحي من الغذاء - أي ان كتاب الاي جنك يصف نفسه بأنه شبيه بهذا القارب بل ان السطر الاخير وهو سطر بالغ القوة قد تنبأ بالنجاح الذي لا يصدق والذي لقيه الكتاب في امريكا في ذلك الوقت حيث استمر بالانتشار وفي سوق الكتب بنفس القدر الذي يباع به الكتاب المقدس.

يقول التينج له حلقات من الزمرد

حظ حسن عظيم

لأشياء يستطيع الوصول إلى هذا المدى
يعني حمل بعض قبضات من الزمرد إلى (القارب) يصبح شيئاً جديراً
بالتوفير والاجلال العظيم ولكن أكثر السطور التي ابرزها يونج أهمية
كان كان القائل.

تينج بسيقان مقلوبة
يؤكد ازاحة الأشياء التي تسبب الجمود والتوقف.
يضم الرجل محضية إلى أسرته من اجل ولدها.
فلا لوم عليه.

ويفسر يونج هذه السطور بانها تعني ان كتاب (الاي جنك) يشير
إلى نفسه باعتباره مرجلاً أي (قارباً مقدساً) لم يستخرج منذ مدة طويلة
(أي انه ترك مقلوباً) ولكن السطور الهامة هنا هي تلك التي تشير إلى
المحظية فالرجل يتسرى بمحظية حينما لا يكون لزوجته ابن) كذلك يقول
يونغ في تعليقه ثم يستطرد مكملًا كذلك فان الناس يستغيثون بكتاب
(الاي جنك) حينما لا يرون مخرجاً آخر على الرغم من الوضع شبه
الشرعي للمحظية في الصين فانها في الحقيقة لا تتمتع إلا بوضع انتقالي
خرج بشكل ما، وهكذا هو الاجراء السحري الذي يقوم به الوحي اذ

يبدو كمبعوث لا يستخدم إلا للخدمة غرض اسمى وارفعل ليس في هذا ما يدعو إلى اللوم رغم أنه إجراء استثنائي ، وقبل أن تغادر يونغ لا تنسى أن نذكر ما ذكره أحد البونغيين في بحث له تحت إشراف يونغ في كتاب الإنسان ورموزه حيث أن مريضه هنري يحلم - والحلم وسيلة لتحليل النفسية والعودة إلى الجذور الأصلية لذات الإنسان ولا شعوره عند يونغ يرى صينيون يستشيرون الوحي في سبيل قتله ويأتي الجواب بالسلب حيث ينجو في الحلم. فيعرض عليه الدكتور النفساني المشرف على علاجه نفسيا أن يستشير الأي جنك لأنه كتاب الوحي الصيني الذي رآه فماذا يجد يقول الكاتب "بعد عدة أسابيع من دراسته للأي جنك نفذ هنري اقتراحه (بكثير من الشك) ورمى القطع النقدية، وكان ما وجدته في الكتاب ذا أثر مذهل عليه وباقتضاب فإن الوحي الذي احتكم إليه كان يحمل عدة إشارات لحلمه المثير للدهشة وكذلك إشارات إلى حالته النفسية عموما ويقدر كبير من التوافق (التزامني) لأن العلاقة التي دل عليها غط القطع النقدية هي المنيع طيش الشباب. لقد وجدنا بين الأقوال الكثيرة الأخرى التي بدت وكأنها تنطبق على هنري التحذير التالي "وبالنسبة إلى طيش الشباب فإن أكثر ما يدعو إلى اليأس هو أن يعلق

بخيالات فارغة ويقدر ما يتعلق الشباب بمثل هذه الخيالات الوهمية بعناد أكبر سيحل به الذل بصورة مؤكدة أكثر . لقد بدا الوحي وكأنه ذو علاقة مباشرة بمشكلة هنري فهذه الامرة لقد لامست رسالة الاي جنك اعمق اعماقه على الرغم من لغة الالغاز التي كان التعبير يتم بها. وبعد ذلك بفترة يحلم هنري بصورة خوذة وسيف يسبحان في الفضاء، فقام إلى كتاب الاي جنك وفتح على غير هدى فاذا به ازاء تعليق على الفصل ٣ حيث فرا بكثير من الدهشة الفقرة التالية 'التعلق هو النار انه يعني دروعا، وخوذا / كما يعني رماحا واسلحة .

لقد علق كولن ولسن على كتاب الاي جنك بأنه واحد من أكثر انسقة المعروفة القمرية اثاره للاهتمام ومن المؤكد انه اكثرها سهولة وهو ايضا ينفرد بكونه متخلصا من الجوانب الضارة، فالدراسة المتعمقة فيه لن تؤدي إلا إلى الخير، ويقول عنه أيضاً لا يستطيع أن اقول إلا أن التعرف عن قرب على كتاب الاي جنك ورموزه سرعان ما يتبدى عن تماسك داخلي ملحوظ وان مثل تلك المعاني لا تصبح واضحة إلا في ذلك الحين، في البداية تبدو مساحة المنظر الشاسعة غريبة متنافرة الاجزاء وسرعان ما

تصبح مالفوفة فيللو كل شيء فيها
منطقيا ومعقولا.

أما يونغ فانه كان يتمنى أن يطول في عمره خمسين سنة لكي يكرسها
لدراسة الاي جنك وهو ما تمناه كونفوشيوس نفسه رغم كل دراسته
وشروحه وتعليقاته على الكتاب الذي كلن سرا وبقي حتى اليوم سرا.

التشابه والاختلاف بين الأي جنك وعلم الرمل لا شك ان هناك
تشابها غريبا بين خطوط واشكال الأي جنك وخطوط واشكال الرمل
فاشكال الأي جنك تتكون من خطوط متصلة وخطوط متقطعة و اشكال
الرمل تتكون من خطوط متصلة ونقطة بدلا من الخط المتقطع ويبدو ان
الصينيين لم يكونوا يعرفون النقطة ليستخدموها بدلا من الخط المتقطع،
وكلا من كتاب جنك وعلم الرمل أو علم النقطة كما يسمى احيانا انما
يقومان على أساس التنبؤ والاستخارة.

ان علم الرمل كما يقول البستاني هو علم يبحث فيه المجهولات
لقصد استعلامها وموضوعه الاشكال الستة عشر... وهذه الاشكال
تستخرج من النقط التي يرسمونها على قرطاس صفوفا منشورة فتشبه
حب الرمل ولذلك يسمون هذا العلم به.. وحكم هذه النقط ان تكون

فوق الست عشرة تقديرا لا عددا فترسم سطرا واحدا ثم يرسم تحتها سطر اخر من النقط ينقص اوله عن السطر الذي فوقه نقطة واحدة وينقص اخره عن اخره ثلاث نقط ثم يرسم تحتها سطر اخر من نقط يزيد اوله عن اول السطر الثاني الذي فوقه نقطة، وينقص اخره عن اخره اربع نقط ويلزم ان تكون النقط ازواجا على مذهب حسن الزناتي المغربي أو تسعات على مذهب طمطم الهندي، وما بقي بعد ذلك يجعلون لكل عدد منه صورة من هذه الاشكال يزعمون انهم يستدلون بها على الاغراض المجهولة التي يريدون معرفتها، ومنهم من يستخدم هذه النقط للاستخارة في الامر الذي عزم عليه فيسقطا ثمانيات فاما ان لا يبقى شيء وهو مذموم واما ان يبقى من الواحد إلى السبعة فالثاني والثالث مذمومان والباقي محمود، والعامية تسمي هذا العلم ضرب الرمل وصاحبه يسمى رمالا.

ان مسالة قدم كتاب الاي جنك تاريخيا ونسبة تداوله الى ما قبل الكتابة حيث كان يتداول شفويا لمجد لها شبا في تاريخية علم الرمل حيث ينقل ابن خلدون في مقدمته ما يزعم اهل الرمل ان [اصل ذلك من النبوات القديمة ف العالم وربما نسبوها الى دانيال أو إلى ادريس صلوات

اللّه عليه شأن الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيتها ويحتجون بقوله (ﷺ) كان نبي يخط الرمل فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية ابن خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل لديه).

وبعض كتب الرمل القديمة تسرد الرواية التالية لارجاع قدم هذا العلم الى النبي ادريس عليه السلام تقول الرواية عن سبب، تسمية علم الرمل هو (ان سيدنا ادريس عليه السلام ارسله الله الى قومه وكان منتشرا في قومه علم التنجيم وفي ذات يوم كان ادريس عليه السلام مارا على ساحل البحر الاعظم، وإذا برجل جميل الخلقة يناديه يا ادريس فدهش كيف عرف هذا الرجل اسمه ولم يسبق بينهما معرفة وقال له كيف يا هذا عرفت اسمي قال من العلم الذي علمني به ربي هل تريد ان تتعلمه قال نعم : فخط له خطا في الرمل لأن الورق لم يكن موجودا في زمنه وكانت الارض صخورا ورملا لانه كان في العصر القديم فلكون اول خط وضع في الرمل سمي علم الرمل فلما علم هذا الرجل نبي الله ادريس علم الرمل قال له اضرب تحتنا وسل فيه عن الملاك جبريل اين هو الآن، فضرب الرمل على نية هذا السؤال فلما خرجت له الاشكال ونطقها قال يا هذا ان صدق هذا العلم جبريل ليس في السماء الآن ولكنه في الارض

وهو السائل اعني الرجل الذي علم ادريس وكان صحيحا ارسله الله إلى النبي ادريس على صورة ادمي ليعلمه. فذهب ادريس عليه السلام إلى قومه وقال لهم هل اعلمكم علما سهلا تعرفون منه كل شيء ماضٍ وحاضر ومستقبل قالوا نعم فعلمهم علم الرمل، ثم سألهم هل ارسل الله رسولا؟ وما اسمه؟ فضربوا جميعا الرمل فخرج لهم ان الله ارسل رسولا واسمه ادريس فامنوا به).

ان علم الرمل يقوم كما يقول المؤلفون على أساس النقطة وسرها الفرد ولما كانت هذه العناصر اربعة والاساس لها النقطة الفردية ولما علموا ان عنصر النار أخف من عنصر الماء والماء أخف من عنصر الهواء والهواء من المعلوم ان الثقيل يحمل الخفيف والخفيف لا يحمل الثقيل جعلوا ترتيب العناصر هكذا نار ثم هواء ثم ماء ثم تراب وهذه العناصر تمتزج في بعضها وتبادل بان يوجد النار في النار ثم ينتقل بان يوجد في الهواء أو الماء أو التراب المذاب وحيث ان العنصر ينتقل في الاربع عناصر فيكون الاربعة في اربعة يساوي ستة عشر شكلا فتم توليد الـ ١٦ من الاربعة هكذا بان زوجوا النار ثم الهواء ثم التراب ثم زوجوا النار ثم

النار والهواء والماء وهكذا إلى آخر الستة عشر، ومعنى التزويج بان يضعوا بجوار نقطة العنصر نقطة ثانية فتولد شرخة كما يسمونها أو خط متصل.

ولا تقف مسألة التشابه بين الأي جنك وعلم الرمل على القدم التاريخي وشكل البيوت أو الاشكال السداسية والرباعية في كل منهم بل تعداه إلى الطقوس التي تمارس في كل منها فحيث راينا المبادئ الاخلاقية والطقوس المستخدمة في الأي جنك نجد ما يقاربها او يشابهها في علم الرمل حيث نجد ان من شروطه عند المسلمين استقبال القبلة وان لا يكون وجهة جهة الغرب مطهرا من الاحداث والالنجاس مكانا وبدنا وثوبا ويصلي الله ركعتين قبل الضرب بنية كشف الضمير ولا يخطط وقت هبوب الريح ولا وقت نزول المطر ولا في قارعة الطريق ولا عند الزوال ولا عند شروق الشمس ولا عند غروبها بل يخطط بعد الغروب الى طلوع الفجر وما بعد شروق الشمس الى الزوال لا غير ولا يخطط في يوم الغيم وأصح الرمل ما ضرب في الليل وليجعل الضارب القلم على البنصر حالة خط الرمل لأنه له اتصال بالقلب وان يكون القلم من بوص أو غيره وان لا يتكلم هو ولا احد لديه حالة العمل، وان يكون فرحا منشرح الخاطر خاليا عن الشواغل ولا يخطط في يوم لحس وهم في كل شهر

سبعة ايام... الخ بل ويضعون شروطا لتلاوة بعض الايات من القرآن الكريم لزيادة التركيز على العمل. ولا شك ان هذه الشروط هدفها الاساس هو زيادة قدرة الفرد على التركيز للسماح للشعور بممارسة دوره في هذا الجانب كما رأينا لدى تحليلنا للأي جنك.

ولعل ادق المشابهات التقنية بين الأي جنك وعلم الرمل هو في موقع الخطوط في الأي جنك وتحركنا وحتى انقلابها إلى ضدها وقوة بعضها على بعض حسب الموقع وهذا لمجده في علم الرمل حينما يقسمون البيوت ومواقع الاشكال، فالشكل معناه النقط والشرط (الخط المتصل) اما البيوت فهي المواقع التي تتخذها الاشكال في هذه البيوت أي ان موقع الشكل في البيت تعطي معاني اضافية ومتغيرات مختلفة فالبيت الاول الخامس والتاسع والثالث عشر نارية والثاني والسادس والعاشر والرابع عشر هوائية والبيت الثالث والحادي عشر والخامس عشر مائية والبيت الرابع والثامن والثاني عشر والسادس عشر ترابية، ولديهم ان الامهات وهي الاشكال الاربعة الاولى المستخرجة من النقط وسطورها الاربعة هذه الامهات نارية والبنات وهي اشكال اخرى لاحقة هي هوائية والحفيدات مائية والموازن وهي الزوائد ترابية.

ان تسمية البيوت باسم الامهات والبنات والحفيدات تشبه تسمية الأي جنك بالاب والام والابناء الكبيرة و الوسط والصغير والبنات الكبرى والصغرى والوسطى، ولو تتبعنا التشابه اكثر لوجدنا ان النار والهواء ذكر والماء والتراب انثى، بل ان الشكل الرباعي نفسه اربع طبقات الاولى نار والثانية هواء والثالثة ماء والرابعة تراب.

والحقيقة ان العناصر الاربعة تنعكس في علم الرمل كله وتلعب دورا في تمازجها ومواقعها في البيوت والاشكال وينعكس كل ذلك على مفاهيم التنبؤ الرملي.

يقول ابن خلدون وهو يشرح هذه الصناعة [ومحصول هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيها فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها أو افرادا كلها فشكلان وان كان الفرد فيها في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال، وان كان الفرد في مرتبتين فسته اشكال وان كان في ثلاث مراتب فاربعة اشكال، جاءت ستة عشر شكلا ميزوها كلها باسمائها وانواعها الى سعود و نحوس شان الكواكب وجعلوها ستة عشر بيتا طبيعية بزعمهم وكان البروج الاثني عشر التي للفلك والاولاد الاربعة

وجعلوا لكل شكل منها بيتا وخطوط ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك حاذوا فيه فن النجاحة ونوع فضائه الا ان احكام النجاحة مستندة إلى اوضاع طبيعية يزعم بطليموس وهذه انما مستندها اوضاع تحكيمية واهواء اتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها.

ولا شك ان تحليل ابن خلدون لعمل الرمل هو نفس تحليل يونغ لعمل الآي جنك ولكن بعبارات العصر الذي هو فيه حيث يشير ابن خلدون إلى ان [الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل إلى تعرفها الا للخواص من البشر المفطورين على الرجوع من عالم الحس إلى عالم الروح... فالخط - الرمل - وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط أو العظام أو غيرها من اشغال الحس لترجع النفس إلى عالم الروحانيات لحظة ما فهو من باب الطرق بالحص والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد الغيب هذه العناية وانها تعنيه ذلك فعذر من القول والله يهدي من يشاء، والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي انهم عند توجههم إلى تعرف الكائنات

يعتريهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتأرب والتمطط ومباديء الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنفيق كذبه.

أي ان ابن خلدون يعتقد بالطاقة النفسية الخارقة لدى بعض الناس وممارستهم الغيوبة في هذا العمل لكي يستطيعوا ان يحققوا النجاح في التنبؤ بالغيب فعلم الرمل وخطوطه كالأي جنك انما محاولة لاستثارة اللاشعور الجمعي ليتحدث عبر هذه الانشغالات الخطية ولحظات الصفاء الذهني المركز على الخطوط المتصلة والمتقطعة في الأي جنك وكل النقاط والخطوط كما هي في علم الرمل ولا شيء غير ذلك.

المصادر والمراجع

- | | | |
|----|------------------------------|------------------|
| ١ | حكمة الصين | فؤاد محمد شبل |
| ٢ | مجلة المعرفة السورية | |
| ٣ | الإنسان وقواه الخفية | كولن ولسن |
| ٤ | أي حبدء | ترجمة كلاي فتون |
| ٥ | الخامة السادسة | د. سليمان النجار |
| ٦ | جذوء المصادفة | ارثر كوستلر |
| ٧ | موسوعة الظواهر الخفية | ريتشارد كيفنديش |
| ٨ | انلاعتيادي | ستان كوشر |
| ٩ | انتزامنية | نخبة من الاساتذة |
| ١٠ | تاريخ الفلسفة الحديث | يوسف كرم |
| ١١ | انرياضيات والبحث عن المعرفة | موريس كلاين |
| ١٢ | الإنسان ورموزه | كاول بونغ واخرين |
| ١٣ | تطوير المهارات النفسية | انا هيد هوفمان |
| ١٤ | انباراسايكولوجية الجديدة غذا | جان باري |
| ١٥ | محيط الهندي | انيساتني |
| ١٦ | مقدمة ابن خلدون | ابن خلدون |
| ١٧ | نشرة انباراسايكولوجي | اعداد مختلفة |

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://twitter.com/SourAlAzbakya>

<https://www.facebook.com/books4all.net>